سورة الليل

إحدى وعشرون آية مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ ﴾

قال القفال رحمه الله: نزلت هذه السورة في أبي بكر وإنفاقه على المسلمين، وفي أمية بن خلف وبخلِهِ وكفره بالله، إلا أنها وإن كانت كذلك لكن معانيها عامة للناس، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]، وقال: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]ويروى عن علي عليهِ السلام أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺفي جنازة فقعد رسول الله ﷺوقعدنا حوله فَقَالَ: «مَا مِنكُمْ نَفسٌ مَنْفُوسَةٌ إلاَّ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» فقلنا يا رسول اللهِ أفلا نتكل؟ فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥- ٧]»[1] فبان بهذا الحديث عموم هذه السورة.

اعلم أنه تعالى أقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه، ويسكن الخلق عن الاضطراب، ويغشاهم النوم الذي جعله الله راحة لأبدانهم وغذاء لأرواحهم، ثم أقسم بالنهار إذا تجلى؛ لأن النهار إذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة، وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم، وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكامنها، فلو كان الدهر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان كله نهارًا لبطلت الراحة، لكن المصلحة كانت في تعاقبهما على ما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ [الفرقان: ٦٢]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

أما قوله:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ فاعلم أنه تعالى لم يذكر مفعول (يغشى)، فهو إما الشمس من قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤]وإما النهار من قوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الرعد: ٣]وإما كل شيء يواريه بظلامه، من قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]وقوله: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي ظهر بزوال ظلمة الليل، أو ظهر وانكشف بطلوع الشمس.

وقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في تفسيره وجوه: **أحدها:**أي والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد، وقيل: هما آدم وحواء. **وثانيها:**أي وخَلْقه الذكر والأنثى. **وثالثها:** (ما) بمعنى (مَن) أي ومَن خلق الذكر والأنثى، أي والذي خلق الذكر والأنثى.

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) باب (قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل:٥]) (٤/ ١٨٩٠) حديث رقم (٤٦٦١) ومسلم في (صحيحه) (٤/ ٢٠٤٠/ ٢٦٤٧) كلاهما من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن علي... به.

المسألة الثانية: قرأ النبي ﷺ (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى)[1] وقرأ ابن مسعود: (وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) وعن الكسائي: (ومت خَلَق الذكر والأنثى) بالجر، ووجهه أن يكون معنى: (وما خلق) أي وما خلقه الله تعالى، أي مخلوق الله، ثم يجعل الذكر والأنثى بدلاً منه، أي ومخلوق الله الذكر والأنثى، وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم أنه لا خالق إلا هو.

المسألة الثالثة: القسَم بالذكَر والأنثى يتناول القسم بجميع ذوي الأرواح الذين هم أشرف المخلوقات؛ لأن كل حيوان فهو إما ذكر أو أنثى، والخنثى فهو في نفسه لا بد وأن يكون إما ذكرًا أو أنثى، بدليل أنه لو حلف بالطلاق أنه لم يلق في هذا اليوم لا ذكرًا ولا أنثى، وكان قد لقي خنثى فإنه يحنث في يمينه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾

هذا جواب القسم، فأقسم تعالى بهذه الأشياء، أن أعمال عباده لشتى، أي مختلفة في الجزاء، وشتى جمع شتيت، مثل مرضى ومريض، وإنما قيل للمختلف شتى، لتباعد ما بين بعضه وبعضه، والشتات هو التباعد والافتراق، فكأنه قيل: إن عملكم لمتباعد بعضه من بعض؛ لأن بعضه ضلال وبعضه هدى، وبعضه يوجب الجنان وبعضه يوجب النيران، فشتان ما بينهما، ويقرب من هذه الآية قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠] وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨] وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] وقال: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١] قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر وأبي سفيان.

ثم إنه سبحانه بيَّن معنى اختلاف الأعمال فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة والثواب والعقاب، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾.

وفي قوله ﴿أَعْطَىٰ﴾ وجهان: **أحدهما**: أن يكون المراد إنفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب وفك الأسارى وتقوية المسلمين على عدوهم، كما كان يفعله أبو بكر، سواء كان ذلك واجبًا أو نفلاً، وإطلاق هذا كالإطلاق في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣] فإن المراد منه كل ذلك إنفاقًا في سبيل الله، سواء كان واجبًا أو نفلاً، وقد مدح الله قومًا فقال:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب (فضائل الصحابة) باب (مناقب عمار) (٣/ ١٣٦٨) حديث رقم (٣٥٣٣) من طريق المغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن أبي الدرداء... به، والطبراني في (الأوسط) (٦/ ١٦٩) حديث رقم (٦١٠٢) والخطيب في (تاريخ بغداد) (١٤/ ٣) كلاهما من طريق يونس بن محمد المؤدب، حدثنا هارون بن موسى الأعور عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن أبي الدرداء... به.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] وقال في آخر هذه السورة: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢٠]، **وثانيهما:** أن قوله: ﴿أَعْطَىٰ﴾ يتناول إعطاء حقوق المال وإعطاء حقوق النفس في طاعة الله تعالى، يقال: فلان أعطى الطاعة وأعطى السعة. وقوله: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ فهو إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي، وقد ذكرنا أنه هل من شرط كونه متقيًا أن يكون محترزًا عن الصغائر أم لا في تفسير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. **وقوله:** ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ فالحسنى فيها وجوه: **أحدها:** أنها قول لا إله إلا الله، والمعنى: فأما من أعطى واتقى وصَدَّق بالتوحيد والنبوة، حصلت له الحسنى، وذلك لأنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم، وهو كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤] إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧] **وثانيها:** أن الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات على الأبدان وفي الأموال، كأنه قيل: أعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصَدَّق بالشرائع، فعلم أنه تعالى لم يشرعها إلا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن. **وثالثها:** أن الحسنى هو الخلف الذي وعده الله في قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] والمعنى: أعطى من ماله في طاعة الله مصدقًا بما وعده الله من الخلف الحسن، وذلك أنه قال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١] فكان الخلف لما كان زائدًا صح إطلاق لفظ الحسنى عليه، وعلى هذا المعنى: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي لم يصدق بالخلف، فبخل بماله لسوء ظنه بالمعبود، كما قال بعضهم: (مَنْع الموجود سوء ظن بالمعبود) وروي عن أبي الدرداء أنه قال: «**مَا مِنْ يَوْم غَرَبَتْ فِيهِ الشَّمْسُ إلاَّ وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يَسْمَعُهُمَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلَفًا وَكُلَّ مُمْسِكٍ تَلَفًا**» **ورابعها:** أن الحسنى هو الثواب، وقيل: إنه الجنة، والمعنى واحد، قال قتادة: صَدَّق بموعود الله فعمل لذلك الموعود، قال القفال: وبالجملة أن الحسنى لفظة تسع كل خصلة حسنة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] يعني النصر أو الشهادة، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] فسمى مضاعفة الأجر حسنى، وقال: ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

وأما قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى: في تفسير هذه اللفظة وجوه: **أحدها:** أنها الجنة. **وثانيها:** أنها الخير. وقالوا في العسرى: إنها الشرك. **وثالثها:** المراد منه أن يسهل عليه كل ما كُلف به من الأفعال والتروك، والمراد من العسرى تعسير كل ذلك عليه. **ورابعها:** اليسرى هي العود إلى الطاعة التي أتى بها أولاً، فكأنه قال فسنيسره لأن يعود إلى الإعطاء في سبيل الله. وقالوا في العسرى ضد ذلك، أي نيسره لأن يعود إلى البخل والامتناع من أداء الحقوق المالية، قال القفال: ولكل هذه الوجوه مجاز من اللغة، وذلك لأن الأعمال بالعواقب، فكل ما أدت عاقبته إلى يسر وراحة وأمور محمودة، فإن ذلك من اليسرى، وذلك وصف كل الطاعات، وكل ما أدت عاقبته إلى عسر

وتعب فهو من العسرى، وذلك وصف كل المعاصي.

المسألة الثانية: التأنيث في لفظ اليسرى ولفظ العسرى فيه وجوه: **أحدها**: أن المراد من اليسرى والعسرى إن كان جماعة الأعمال، فوجه التأنيث ظاهر، وإن كان المراد عملاً واحدًا رجع التأنيث إلى الخلة أو الفعلة، وعلى هذا من جعل يسرى هو تيسير العود (ة) إلى ما فعله الإنسان من الطاعة، رجع التأنيث إلى العود (ة)، وكأنه قال: فسنيسره للعود (ة) التي هي كذا **وثانيها**: أن يكون مرجع التأنيث إلى الطريقة، فكأنه قال: للطريقة اليسرى والعسرى. **وثالثها**: أن العبادات أمور شاقة على البدن، فإذا علم المكلف أنها تفضي إلى الجنة سهلت تلك الأفعال الشاقة عليه، بسبب توقعه للجنة، فسمى الله تعالى الجنة يسرى، ثم علل حصول اليسرى في أداء الطاعات بهذه اليسرى وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ بالضد من ذلك.

المسألة الثالثة: في معنى التيسير لليسرى والعسرى وجوه؛ وذلك لأن من فسر اليسرى بالجنة فسَّر التيسير لليسرى بإدخال الله تعالى إياهم في الجنة بسهولة وإكرام، على ما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[الرعد: ٢٣-٢٤] وقوله: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[الزمر: ٧٣] وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٢٤] وأما من فسر اليسرى بأعمال الخير فالتيسير لها هو تسهيلها على من أراد حتى لا يعتريه من التثاقل ما يعتري المرائين والمنافقين من الكسل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥] وقال: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾[النساء: ١٤٢] وقال: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[التوبة: ٣٨] فكان التيسير هو التنشيط.

المسألة الرابعة: استدل الأصحاب بهذه الآية على صحة قولهم في التوفيق والخذلان، فقالوا: إن قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ يدل على أنه تعالى خص المؤمن بهذا التوفيق، وهو أنه جعل الطاعة بالنسبة إليه أرجح من المعصية، وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ يدل على أنه خص الكافر بهذا الخذلان، وهو أنه جعل المعصية بالنسبة إليه أرجح من الطاعة، وإذا دلت الآية على حصول الرجحان لزم القول بالوجوب لأنه لا واسطة بين الفعل والترك، ومعلوم أن حال الاستواء يمتنع الرجحان، فحال المرجوحية أَوْلى بالامتناع، وإذا امتنع أحد الطرفين وجب حصول الطرف الآخر ضرورة أنه لا خروج عن طرفي النقيض.

أجاب القفال رحمه الله عن وجه التمسك بالآية من وجوه: **أحدها**: أن تسمية أحد الضدين باسم الآخر مجاز مشهور، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾[الشورى: ٤٠] وقال: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الإنشقاق: ٢٤] فلما سمى الله فعل الألطاف الداعية إلى الطاعات تيسيرًا لليسرى، سمى ترك هذه الألطاف تيسيرًا للعسرى. **وثانيها**: أن يكون ذلك على جهة إضافة الفعل إلى المسبب له دون الفاعل، كما قيل في الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾[إبراهيم: ٣٦] **وثالثها**: أن يكون ذلك على سبيل الحكم به والإخبار عنه. والجواب عن الكل أنه عدول عن

الظاهر، وذلك غير جائز، لاسيما أنا بينا أن الظاهر من جانبنا متأكد بالدليل العقلي القاطع، ثم إن أصحابنا أكدوا ظاهر هذه الآية بما روي عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» قُلْنَا**: أفلا نتكل؟ قال: «**لاَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١) أجاب القفال عنه بأن الناس كلهم خُلقوا ليعبدوا الله، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦] واعلم أن هذا ضعيف لأنه عليه السلام إنما ذكر هذا جوابًا عن سؤالهم، يعني اعملوا فكل ميسر لما وافق معلوم الله، وهذا يدل على قولنا: إن ما قدره الله على العبد وعلمه منه فإنه ممتنع التغيير، والله أعلم.

المسألة الخامسة: في دخول السين في قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ وجوه: **أحدها**: أنه على سبيل الترفيق والتلطيف، وهو من الله تعالى قطع ويقين، كما في قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ٢١] **وثانيها**: أن يُحمل ذلك على أن المطيع قد يصير عاصيًا، والعاصي قد يصير بالتوبة مطيعًا، فلهذا السبب كان التغيير فيه محالاً. **وثالثها**: أن الثواب لما كان أكثره واقعًا في الآخرة، وكان ذلك مما لم يأت وقته، ولا يقف أحد على وقته إلا الله، لا جرم دخله تراخ، فأدخلت السين لأنها حرف التراخي ليدل بذلك على أن الوعد آجل غير حاضر، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾﴾

فاعلم أن (ما) هنا يحتمل أن يكون استفهامًا بمعنى الإنكار، ويحتمل أن يكون نفيًا. وأما ﴿تَرَدَّى﴾ ففيه وجهان: **الأول**: أن يكون ذلك مأخوذًا من قولك: تردى من الجبل، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾[المائدة: ٣] فيكون المعنى: تردى في الحفرة إذا قُبر، أو تردى في قعر جهنم، وتقدير الآية: إنا إذا يسرناه للعسرى – وهي النار – تردى في جهنم، فماذا يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه، ولم يصحب منه إلى آخرته، التي هي موضع فقره وحاجته شيئًا، كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[الأنعام: ٩٤] وقال: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[مريم: ٨٠] أخبر أن الذي ينتفع الإنسان به هو ما يقدمه الإنسان من أعمال البر وإعطاء الأموال في حقوقها، دون المال الذي يخلفه على ورثته. **الثاني**: أن تردى تفعل من الردى وهو الهلاك، يريد الموت.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ فاعلم أنه تعالى لما عَرَّفهم أن سعيهم شتى في العواقب وبَيَّن ما للمحسن من اليسرى وللمسيء من العسرى، أخبرهم أنه قد قضى ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب والإرشاد والهداية فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي إن الذي يجب علينا في الحكمة إذا خلقنا الخلق للعبادة، أن نبين لهم وجوه التعبد وشرح ما يكون المتعبد به مطيعًا مما يكون به عاصيًا، إذ كنا إنما خلقناهم لننفعهم ونرحمهم ونعرضهم للنعيم المقيم، فقد فعلنا ما

---

(١) تقدم.

كان فعله واجبًا علينا في الحكمة. والمعتزلة احتجوا بهذه الآية على صحة مذهبهم في مسائل: **إحداها:** أنه تعالى أباح الأعذار وما كلف المكلف إلا ما في وسعه وطاقته، فثبت أنه تعالى لا يكلف بما لا يطاق **وثانيها:** أن كلمة (على) للوجوب، فتدل على أنه قد يجب للعبد على الله شيء. **وثالثها:** أنه لو لم يكن العبد مستقلاً بالإيجاد لما كان في وضع الدلائل فائدة. وأجوبة أصحابنا عن مثل هذه الوجوه مشهورة، وذكر الواحدي وجهًا آخر نقله عن الفراء فقال: المعنى: إن علينا للهدى والإضلال. فترك الإضلال كما قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وهي تقي الحر والبرد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: يريد أُرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي، وأَحُول بين أعدائي أن يعملوا بطاعتي. فذكر معنى الإضلال، قالت المعتزلة: هذا التأويل ساقط لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩] فبيَّن أن قصد السبيل على الله، وأما جور السبيل فبيَّن أنه ليس على الله ولا منه. واعلم أن الاستقصاء قد سبق في تلك الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ ففيه وجهان: **الأول:** أن لنا كل ما في الدنيا والآخرة، فليس يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا، ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم، بل نفع ذلك وضره عائدان عليكم، ولو شئنا لمنعناكم من المعاصي قهرًا، إذ لنا الدنيا والآخرة، ولكننا لا نمنعكم من هذا الوجه؛ لأن هذا الوجه يخل بالتكليف، بل نمنعكم بالبيان والتعريف، والوعد والوعيد. **الثاني:** أن لنا ملك الدارين نعطي ما نشاء من نشاء، فيطلب سعادة الدارين منا. والأول أوفق لقول المعتزلة، والثاني أوفق لقولنا.

أما قوله تعالى ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ تلظى، أي تتوقد وتتلهب وتتوهج، يقال: تلظت النار تلظيًا، ومنه سميت جهنم لظى، ثم بَيَّن أنها لمن هي بقوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ قال ابن عباس: نزلت في أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا محمدًا والأنبياء قبله، وقيل: إن الأشقى بمعنى الشقي، كما يقال: لست فيها بأوحد، أي بواحد، فالمعنى لا يدخلها إلا الكافر الذي هو شقي لأنه كَذَّب بآيات الله، وتولى أي أعرض عن طاعة الله. واعلم أن المرجئة يتمسكون بهذه الآية في أنه لا وعيد إلا على الكفار، قال القاضي: ولا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، ويدل على ذلك ثلاثة أوجه: **أحدها:** أنه يقتضي أن لا يدخل النار إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فوجب في الكافر الذي لم يكذب ولم يتول أن لا يدخل النار. **وثانيها:** أن هذا إغراء بالمعاصي؛ لأنه بمنزلة أن يقول الله تعالى لمن صدق بالله ورسوله ولم يكذب ولم يتول: أي معصية أقدمت عليها، فلن تضرك. وهذا يتجاوز حد الإغراء

إلى أن تصير كالإباحة، وتعالى الله عن ذلك. **وثالثها:** أن قوله تعالى من بعد: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] يدل على ترك هذا الظاهر؛ لأنه معلوم من حال الفاسق أنه ليس بأتقى؛ لأن ذلك مبالغة في التقوى، ومن يرتكب عظائم الكبائر لا يوصف بأنه أتقى، فإن كان الأول يدل على أن الفاسق لا يدخل النار، فهذا الثاني يدل على أن الفاسق لا يجنب النار، وكل مكلف لا يجنب النار، فلا بد وأن يكون من أهلها، ولما ثبت أنه لا بد من التأويل، فنقول: فيه وجهان: **الأول:** أن يكون المراد بقوله: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ نارًا مخصوصة من النيران؛ لأنها دركات لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فالآية تدل على أن تلك النار المخصوصة لا يصلاها سوى هذا الأشقى، ولا تدل على أن الفاسق وغير من هذا صفته من الكفار لا يدخل سائر النيران. **الثاني:** أن المراد بقوله: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ النيران أجمع، ويكون المراد بقوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ أي هذا الأشقى بها أحق، وثبوت هذه الزيادة في الاستحقاق غير حاصلة إلا لهذا الأشقى.

واعلم أن وجوه القاضي ضعيفة:

أما قوله أولاً: (يلزم في غير هذا الكافر أن لا يدخل النار) **فجوابه:** أن كل كافر لا بد وأن يكون مكذبًا للنبي في دعواه، ويكون متوليًا عن النظر في دلالة صدق ذلك النبي، فيصدق عليه أنه أشقى من سائر العصاة، وأنه كذب وتولى، وإذا كان كل كافر داخلاً في الآية سقط ما قاله القاضي.

وأما قوله ثانيا: (إن هذا إغراء بالمعصية) فضعيف أيضًا؛ لأنه يكفي في الزجر عن المعصية حصول الذم في العاجل وحصول غضب الله بمعنى أنه لا يكرمه ولا يعظمه ولا يعطيه الثواب، ولعله يعذبه بطريق آخر، فلم يدل دليل على انحصار طريق التعذيب في إدخال النار.

وأما قوله ثالثا: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ فهذا لا يدل على حال غير الأتقى إلا على سبيل المفهوم، والتمسك بدليل الخطاب وهو ينكر ذلك فكيف تمسك به؟ والذي يؤكد هذا أن هذا يقتضي فيمن ليس بأتقى دخول النار، فيلزم في الصبيان والمجانين أن يدخلوا النار وذلك باطل.

وأما قوله رابعا: (المراد منه نار مخصوصة، وهي النار التي تتلظى) فضعيف أيضًا؛ لأن قوله: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ يحتمل أن يكون ذلك صفة لكل النيران، وأن يكون صفة لنار مخصوصة، لكنه تعالى وصف كل نار جهنم بهذا الوصف في آية أخرى، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦].

وأما قوله: (المراد إن هذا الأشقى أحق به) فضعيف لأنه ترك للظاهر من غير دليل، فثبت ضعف الوجوه التي ذكرها القاضي.

فإن قيل: فما الجواب عنه على قولكم، فإنكم لا تقطعون بعدم وعيد الفساق؟ **الجواب:** من وجهين: **الأول:** ما ذكره الواحدي وهو أن معنى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يلزمها في حقيقة اللغة، يقال: صلى الكافر النار، إذا لزمها مقاسيًا شدتها وحرها، وعندنا أن هذه الملازمة لا تثبت إلا للكافر،

أما الفاسق فإما أن لا يدخلها أو إن دخلها تخلص منها . **الثاني:** أن يخص عموم هذا الظاهر بالآيات الدالة على وعيد الفساق، والله أعلم .

قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ معنى سيجنبها أي سيبعدها ويُجعل منها على جانب، يقال: جنبته الشيء، أي بعدته وجنبته عنه .

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أجمع المفسرون منا على أن المراد منه أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

واعلم أن الشيعة بأسرهم ينكرون هذه الرواية، ويقولون: إنها نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] فقوله: ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ إشارة إلى ما في الآية من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ولما ذكر ذلك بعضهم في محضري قلت: أقيم الدلالة العقلية على أن المراد من هذه الآية أبو بكر، وتقريرها: أن المراد من هذا الأتقى هو أفضل الخلق، فإذا كان كذلك، وجب أن يكون المراد هو أبو بكر، فهاتان المقدمتان متى صحتا صح المقصود، إنما قلنا: (إن المراد من هذا الأتقى أفضل الخلق) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] والأكرم هو الأفضل، فدل على أن كل من كان أتقى وجب أن يكون أفضل، **فإن قيل:** الآية دلت على أن كل من كان أكرم كان أتقى، وذلك لا يقتضي أن كل من كان أتقى كان أكرم، **قلنا:** وصف كون الإنسان أتقى معلوم مشاهد، ووصف كونه أفضل غير معلوم ولا مشاهد، والإخبار عن المعلوم بغير المعلوم هو الطريق الحسن، أما عكسه فغير مفيد، فتقدير الآية كأنه وقعت الشبهة في أن الأكرم عند الله من هو؟ فقيل: هو الأتقى، وإذا كان كذلك كان التقدير أتقاكم أكرمكم عند الله، فثبت أن الأتقى المذكور ههنا لا بد وأن يكون أفضل الخلق عند الله، فنقول: لا بد وأن يكون المراد به أبا بكر لأن الأمة مجمعة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله إما أبو بكر أو علي، ولا يمكن حمل هذه الآية على علي بن أبي طالب، فتعين حملها على أبي بكر، وإنما قلنا: (إنه لا يمكن حملها على علي بن أبي طالب) لأنه قال في صفة هذا الأتقى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ وهذا الوصف لا يصدق على علي بن أبي طالب؛ لأنه كان في تربية النبي ﷺ لأنه أخذه من أبيه وكان يطعمه ويسقيه، ويكسوه، ويربيه، وكان الرسول منعمًا عليه نعمة يجب جزاؤها، أما أبو بكر فلم يكن للنبي عليه الصلاة والسلام عليه نعمة دنيوية، بل أبو بكر كان ينفق على الرسول عليه السلام، بل كان للرسول عليه السلام عليه نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين، إلا أن هذا لا يُجزى؛ لقوله تعالى: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى، فعلمنا

أن هذه الآية لا تصلح لعلي بن أبي طالب، وإذا ثبت أن المراد بهذه الآية من كان أفضل الخلق وثبت أن ذلك الأفضل من الأمة إما أبو بكر أو علي، وثبت أن الآية غير صالحة لعلي، تعين حملها على أبي بكر رضي الله عنه، وثبت دلالة الآية أيضًا على أن أبا بكر أفضل الأمة.

وأما الرواية فهي أنه كان بلال (عبدًا) لعبد الله بن جدعان، فسلح على الأصنام فشكا إليه المشركون فعله، فوهبه لهم ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضاء وهو يقول: (أحد، أحد) فمر به رسول الله، وقال: «ينجيك أحد، أحد». ثم أخبر رسول الله أبا بكر أن بلالاً يعذب في الله، فحمل أبو بكر رطلاً من ذهب فابتاعه به، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده!! فنزل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [1] وقال ابن الزبير وهو على المنبر: كان أبو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم. فقال له أبوه: يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك!! فقال: مَنْع ظهري أريد. فنزلت هذه الآية.

المسألة الثانية: قال صاحب (الكشاف) في محل (يَتَزَكَّى) وجهان: إن جعلت بدلاً من يؤتي فلا محل له؛ لأنه داخل في حكم الصلة، والصلات لا محل لها. وإن جعلته حالاً من الضمير في ﴿يُؤْتِي﴾ فمحله النصب.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ مستثنى من غير جنسه وهو النعمة، أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه، كقولك: (ما في الدار أحدًا إلا حمارًا) وذكر الفراء فيه وجهًا آخر وهو أن يضمر الإنفاق على تقدير: ما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، كقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

المسألة الثانية: اعلم أنه تعالى بَيَّن أن هذا الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى - لا يؤتيه مكافأة على هدية أو نعمة سالفة؛ لأن ذلك يجري مجرى أداء الدين، فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب، بل إنما يستحق الثواب إذا فعله لأجل أن الله أمره به وحثه عليه.

المسألة الثالثة: المجسمة تمسكوا بلفظة الوجه، والملحدة تمسكوا بلفظة (ربه الأعلى) وإن ذلك يقضي وجود رب آخر، وقد تقدم الكلام على كل ذلك.

المسألة الرابعة: ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب (الإمامة) فقال: الآية الواردة في حق علي عليه السلام: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩، ١٠] والآية الواردة في حق أبي بكر: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ فدلت

(١) أورده الواحدي في (أسباب النزول) (١/ ٣٤١) قال: وقال عطاء عن ابن عباس... فذكره.

الآيتان على أن كل واحد منهما إنما فعل ما فعل لوجه الله، إلا أن آية علي تدل على أنه فعل ما فعل لوجه الله وللخوف من يوم القيامة، على ما قال: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ وأما آية أبي بكر فإنها دلت على أنه فعل ما فعل لمحض وجه الله من غير أن يشوبه طمع فيما يرجع إلى رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب، فكان مقام أبي بكر أعلى وأجَلّ.

المسألة الخامسة: من الناس من قال: ابتغاء الله بمعنى ابتغاء ذاته. وهي محال، فلا بد وأن يكون المراد ابتغاء ثوابه وكرامته، ومن الناس من قال: لا حاجة إلى هذا الإضمار، وحقيقة هذه المسألة راجعة إلى أنه هل يمكن أن يحب العبد ذات الله، أو المراد من هذه المحبة محبة ثوابه وكرامته؟ وقد تقدم الكلام في هذه المسألة في تفسير قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

المسألة السادسة: قرأ يحيى بن وثاب: (إلا ابتغاءُ وجه ربه) بالرفع على لغة من يقول: ما في الدار أحد إلا حمارًا، وأنشد في اللغتين، قوله:

وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ ... إلاَّ الْيَعَافِيرُ وَإلاَّ الْعِيسُ

أما قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ فالمعنى أنه وعد أبا بكر أن يرضيه في الآخرة بثوابه، وهو كقوله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] وفيه عندي وجه آخر، وهو أن المراد أنه ما أنفق إلا لطلب رضوان الله، ولسوف يرضى الله عنه، وهذا عندي أعظم من الأول لأن رضا الله عن عبده أكمل للعبد من رضاه عن ربه، وبالجملة فلا بد من حصول الأمرين على ما قال: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨] والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة «والليل»

مَكِّيَّةٌ، وقيل: مَدَنيَّةٌ. وهي إحدى وعشرون آيةً بإجماعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يُغَطِّي. ولم يَذْكُر مفعولاً للعِلْم به. فقيل: يَغْشَى النهارَ. وقيل: الأرضَ. وقيل: الخلائقَ. وقيل: يغشى كلَّ شيءٍ بظُلْمتِه. وروى سعيد عن قتادة قال: أولُ ما خَلَق الله النورَ والظُّلْمةَ، ثم مَيَّز بينهما، فجعل الظُّلْمةَ ليلاً أسودَ مُظْلِماً، والنورَ نهاراً مضيئاً مبصراً.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: انكشفَ ووَضحَ وظَهرَ، وبان بضوئه عن ظلمةِ الليل.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ قال الحسن: معناه: والذي خَلَقَ الذَّكرَ والأنثى(٢)، فيكون قد أَقْسَم بنَفْسِه عزَّ وجلَّ.

وقيل: معناه: وخَلْقِ الذَّكَرَ والأنثى، فـ«ما» مَصْدَريةٌ على ما تقدَّم(٣). وأهلُ مكةَ يقولون للرَّعْد: سُبحان ما سَبَّحَتَ له(٤)! فـ«ما» على هذا بمعنى «مَن»، وهو قولُ أبي

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/٤٥٨، والكلام من النكت والعيون ٦/٢٨٦.

(٣) ينظر ما سلف من هذا الجزء ص٢٩١ و٣١٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/٤٥٨ عن أبي عمرو ضمن خبر الحسن السالف.

عبيدة[١] وغيرِه. وقد تقدَّم.

وقيل: المعنى: وما خَلَق مِن الذَّكَر والأنثى، فتكون «مِن» مضمرةً، ويكونُ القَسَمُ منه بأهل طاعتِه من أنبيائه وأوليائه، ويكونُ قَسَمُه بهم تَكْرِمةً لهم وتشريفاً[٢].

وقال أبو عبيدة[٣]: «وما خَلَق» أي: ومَن خَلَق. وكذلك قولُه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧]، «ما» في هذه المواضع بمعنى مَنْ.

ورُوي عن ابن مسعودٍ أنَّه كان يقرأ: «والنهارِ إذا تجلَّى. والذَّكَرِ والأُنثى»، ويُسْقِطُ: «وما خَلَقَ». وفي «صحيح» مسلمٍ عن علقمةَ قال: قَدِمْنا الشامَ، فأتانا أبو الدرداءِ، فقال: فيكم أحدٌ يقرأ على قراءةِ عبدِ الله؟ فقلتُ: نعم، أنا. قال: فكيف سمعتَ عبدَ الله يقرأُ هذه الآية: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟ قال: سمعتُه يقرأ: «والليلِ إذا يَغْشَى. والذَّكَرِ والأنثى» قال: وأنا والله هكذا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرؤها، ولكنْ هؤلاءِ يريدون أنْ أقرأ: «وما خَلَق»، فلا أُتابِعُهم[٤].

قال أبو بكر الأنباريُّ: وحدَّثنا محمد بن يحيى المروزيُّ، قال: حدَّثنا محمد، قال: حدَّثنا أبو أحمد الزبيريُّ، قال: حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: أَقْرأني رسولُ الله ﷺ: «إنِّي أنا الرَّازِقُ ذو القوَّةِ المتِين»[٥].

قال أبو بكر: كلٌّ من هذين الحديثين مردودٌ بخلافِ الإجماعِ له، وأنَّ حمزةَ وعاصماً يَرْوِيان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعةُ المسلمين، والبناءُ على سَنَدَيْن يوافقان الإجماعَ أوْلَى من الأخذِ بواحدٍ يُخالِفُه الإجماعُ والأمَّةُ، وما يُبنَى على روايةِ

(١) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠١، وسيأتي.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠-٣٠١.

(٤) صحيح مسلم (٨٢٤)، وهو عند أحمد (٢٧٥٥٤)، والبخاري (٤٩٤٣).

(٥) أخرجه أحمد (٣٧٤١)، وأبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٩٤٠) وقال: حسن صحيح.

واحدٍ إذا حاذاه روايةُ جماعةٍ تُخالفُه، أُخِذَ بروايةِ الجماعةِ وأُبْطِلَ نَقْلُ الواحد؛ لِمَا يجوزُ عليه من النسيان والإغفال.

ولو صحَّ الحديثُ عن أبي الدرداء وكان إسنادهُ مقبولاً معروفاً، ثم كان أبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وسائرُ الصحابةِ ﷺ يخالفونه، لكان الحُكْمُ العملَ بما رَوَتْه الجماعةُ، ورَفْضَ ما يَحْكِيه الواحدُ المنفرِدُ، الذي يُسْرِعُ إليه من النسيان ما لا يُسْرِعُ إلى الجماعة وجميعِ أهلِ الملَّة.

وفي المراد بالذَّكَر والأُنثى قولان:

أحدهما: آدمُ وحوَّاء؛ قاله ابنُ عباس والحسنُ والكلبيّ[١].

الثاني: يعني جميعَ الذُّكورِ والإناثِ من بني آدمَ والبهائمِ؛ لأنَّ الله تعالى خَلَق جميعَهم من ذكرٍ وأنثى من نوعهم.

وقيل: كلُّ ذَكَرٍ وأنثى من الآدميين دون البهائم؛ لاختصاصهم بولايةِ اللهِ وطاعتِه[٢].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جوابُ القَسَم. والمعنى: إنَّ عملكم لمختلِفٌ. وقال عكرمةُ وسائرُ المفسِّرين: السَّعْيُ: العمل[٣]، فَسَاعٍ في فَكاكِ نفسِه، وساعٍ في عَطَبها، يدلُّ عليه قولُه عليه الصلاة والسلام: «الناسُ غادِيان: فبائعٌ نفسَه فمعْتِقُها، أو مُوْبِقُها»[٤].

وشتَّى: واحدُه شَتيت، مثل: مريض ومَرْضَى، وإنَّما قيل للمختلِفِ: شتَّى، لتَباعُدِ ما بينَ بعضِه وبعضِه. أي: إنَّ عملكم لمتباعِدٌ بعضُه من بعض؛ لأنَّ بعضَه

---

(١) الوسيط ٤/ ٥٠١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩٤ عن مقاتل والكلبي. والنكت والعيون ٦/ ٢٨٧ عن ابن عيسى.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٨٧.

(٣) أخرجه عن عكرمة ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٨.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٢٩٠٢)، ومسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ ولفظه: «كلُّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

ضلالةٌ وبعضه هدى[1]. أي: فمنكم مؤمنٌ وبرٌّ، وكافرٌ وفاجِر[2]، ومطيعٌ وعاصٍ.

وقيل: «لشتَّى»، أي: لمختلفُ الجزاءِ، فمِنكم مُثابٌ بالجنة، و[منكم] معاقَبٌ بالنار.

وقيل: أي: لمختلفُ الأخلاقِ؛ فمنكم راحِمٌ وقاسٍ، وحليمٌ وطائشٌ، وجوادٌ وبخيلٌ، وشبه ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾

فيه أربعُ مسائلَ:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ قال ابن مسعود: يعني أبا بكر ﷺ[3]؛ وقاله عامَّةُ المفسِّرين. فرُوِي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يُعتقُ على الإسلام عجائزَ ونساءً، قال: فقال له أبوه أبو قحافةَ: أي بُنيّ! لو أنَّك أعْتَقتَ رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون معك؟ فقال: يا أبتِ، إنَّما أُريدُ ما يُريد[4].

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ أي: بَذَلَ ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ أي: محارِمَ اللهِ التي نَهى عنها. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالخَلَفِ من الله تعالى على عطائه ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[5].

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ١٩٩ .

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٢٨٧ (والكلام وما سيأتي بين حاصرتين منه): فمنكم مؤمنٌ وكافر وبرٌّ وفاجر.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص٤٨٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٥٨ لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٤) في (د): تريد. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦٦ ، والواحدي في أسباب النزول ص٤٨٧ ، ووقع عند الطبري: إنما أريد، أظنه قال: ما عند الله. وفي أسباب النزول إنما أريد ما أريد. وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٦٢) عن عبد الله بن الزبير ﷺ، وفيه: ...لو أعتقتَ مَن يمنع ظهرك، فقال: مَنْعَ ظهري أريد.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٤٦١-٤٦٢ .

وفي «صحيح» مسلمٍ عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن يومٍ يُصْبحُ العبادُ فيه إلَّا وَمَلكانِ ينزلان، فيقولُ أحدُهما: اللهمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخَرُ: اللهمَّ أعْطِ ممسكاً تَلَفاً»[(١)].

وروي من حديث أبي الدرداء: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما مِن يومٍ غَرَبَتْ شمسُه إلَّا بُعِثَ بجنَبتَيها[(٢)] ملكان يناديان يَسْمَعُهما خَلْقُ اللهِ كلُّهم إلَّا الثَّقَلين: اللهم أعْطِ مُنْفقاً خَلَفاً، وأعْطِ ممسِكاً تلفاً» وأنزل الله تعالى في ذلك في القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ الآيات[(٣)].

وقال أهلُ التفسير: «فأمَّا مَن أعْطَى» المُعْسِرِين. وقال قتادة: أعْطَى حقَّ اللهِ تعالى الذي عليه[(٤)]. وقال الحسن: أعْطَى الصِّدْقَ من قَلْبِه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بلا إلهَ إلَّا اللهُ؛ قاله الضحَّاكُ والسُّلَميُّ وابنُ عباس أيضاً. وقال مجاهد: بالجنة، دليلُه قولُه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية [يونس: ٢٦]. وقال قتادةُ: بموعودِ اللهِ الذي وَعَدَه أنْ يُثيبه[(٥)]. زيد بن أسلم: بالصلاة والزكاة والصوم[(٦)]. الحسن: بالخَلَف من عطائه[(٧)]؛ وهو اختيارُ الطبريِّ[(٨)]. وتقدَّم عن ابن عباس، وكلُّه متقارِبُ المعنى؛ إذ كلُّه يرجعُ إلى الثواب الذي هو الجنة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نُرشِدُه لأسبابِ الخيرِ والصَّلاح،

---

(١) صحيح مسلم (١٠١٠)، وهو عند أحمد (٨٠٥٤)، والبخاري (١٤٤٢)، وسلف ١/ ٣٨٠.

(٢) في (م): بجنبتها.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦٥، وهو عند أحمد (٢١٧٢١) دون قوله: وأنزل الله...

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦١.

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٤/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٨٨.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٢٨٨، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦١-٤٦٣ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد.

(٨) في التفسير ٢٤/ ٤٦٥.

حتى يَسْهُلَ عليه فِعْلُها. وقال زيد بن أسلم: «لليسرى»: للجنة[١]. وفي الصحيحين والترمذيِّ عن عليٍّ ﷺ قال: كنَّا في جنازةٍ في البقِيع، فأتَى النبيُّ ﷺ، فجلس وجَلَسْنا معه، ومعه عودٌ يَنْكُتُ به في الأرض، فرفَع رأسَه إلى السماء فقال: «ما مِن نَفْسٍ مَنْفوسةٍ إلَّا [قد] كُتِب مَدْخَلُها» فقال القومُ: يا رسولَ الله، أفَلَا نَتَّكِلُ على كتابنا؟ فَمَن كان مِن أهل السعادةِ فإنه يعملُ للسعادة، ومَن كان مِن أهلِ الشقاءِ فإنَّه يعملُ للشقاء. قال: «بل اعْمَلوا فكلٌّ مُيسَّر؛ أمَّا مَن كان مِن أهلِ السعادةِ فإنَّه يُيَسَّرُ لعملِ السعادةِ، وأمَّا مَن كان مِن أهلِ الشقاءِ فإنَّه ييسَّر لعملِ الشَّقاءِ ـ ثم قرأ ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾» لفظُ الترمذيِّ. وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيح[٢].

وسأل غلامان شابَّان رسولَ الله ﷺ فقالا: العملُ فيما جَفَّتْ به الأقلامُ وجَرَتْ به المقاديرُ، أم في شيءٍ يُسْتَأْنَفُ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «بل فيما جفَّتْ به الأقلامُ، وجَرَتْ به المقادير» قالا: ففيمَ العمل؟ قال: «اعمَلوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لعَمَله[٣] الذي خُلِقَ له» قالا: فالآنَ نَجِدُّ ونَعْمَلُ[٤].

الثالثة: قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي: ضَنَّ بما عنده، فلم يبذُلْ خيراً. وقد تقدَّم بيانُه وثمرتُه في الدنيا في سورة آلِ عمران[٥]. وفي الآخرة مَآلُه النارُ، كما في هذه الآية. روى الضحَّاكُ عن ابن عباس: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ قال: سوف أحُولُ بينه وبينَ الإيمانِ بالله وبرسوله. وعنه عن ابن عباس قال: نزلت في أميةَ بنِ خلف[٦].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٨٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٨ .

(٢) سنن الترمذي (٣٣٤٤)، وما سلف بين حاصرتين منه. وهو في صحيح البخاري (١٣٦٢) وصحيح مسلم (٢٦٤٧)، وأخرجه أحمد (١٠٦٧).

(٣) في (م): لعمل، وفي (ظ): للعمل.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٧٣ .

(٥) ٥/ ٤٣٨ .

(٦) لم نقف عليه عن ابن عباس وذكر ابن الجوزي ٩/ ١٥٠ عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: يعني بذلك أمية وأُبيًّا ابني خلف.

وروى عكرمةُ عن ابن عباس: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ يقول: بَخِل بمالِه، واستغنى عن ربِّه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالخَلَف[١].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: «وكذب بِالحسنى» قال: بالجنة[٢]. وبإسنادٍ آخرَ عنه قال: «بالحسنى»، أي: بلا إله إلا الله. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ أي: نسهِّلُ طريقه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: للشَّر. وعن ابن مسعود: للنار. وقيل: أي: فسنعسِّرُ عليه أسبابَ الخيرِ والصلاحِ حتى يصعب عليه فِعْلُها[٣]. وقد تقدَّم أنَّ الملك ينادي صباحاً ومساءً: «اللهمَّ أعْطِ منفقاً خَلَفاً، وأعْطِ ممسِكاً تلفاً». رواه أبو الدَّرداء.

مسألة: قال العلماء: ثَبَتَ بهذه الآيةِ وبقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] إلى غير ذلك من الآيات، أنَّ الجودَ من مكارمِ الأخلاقِ، والبخلَ من أرْذَلها. وليس الجوادُ الذي يعطي في غيرِ موضعِ العطاء، ولا البخيلُ الذي يَمنعُ في موضع المنع، لكن الجواد الذي يعطي في موضعِ العطاء، والبخيل الذي يمنعُ في موضع العطاء، فكلُّ مَن استفاد بما يعطي أجراً وحَمْداً فهو الجوادُ. وكلُّ مَن استحقَّ بالمنع ذمًّا أو عقاباً فهو البخيل. ومَن لم يَسْتفِدْ بالعطاء أجراً ولا حَمْداً، وإنَّما استوجب به ذمًّا فليس بجواد، وإنَّما هو مُسْرِفٌ مذمومٌ، وهو من المبذِّرين الذين جعلهم الله إخوانَ الشياطين، وأوْجَبَ الحَجْرَ عليهم. ومَن لم يستوجبْ بالمنع عقاباً ولا ذمّاً، واستوجب به حَمْداً، فهو مِن أهلِ الرشدِ، الذين يستحقُّون القيامَ على أموالِ غيرِهم، بحُسْنِ تَدْبيرِهم وسَدَادِ رأيهم[٤].

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦٧-٤٦٨ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٦٨-٤٦٩ .

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨٨ ، وقول ابن مسعود ﷺ أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٨ .

(٤) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٣/ ٤٠٤ .

الرابعة: قال الفرَّاء: يقول القائل: كيف قال: «فسنيسِّره للعُسْرَى»؟ وهل في العُسْرى تيسيرٌ؟ فيقالُ في الجواب: هذا في إجازته بمنزلةِ قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] والبِشارةُ في الأصل على المُفرِحِ والسارِّ، فإذا جُمع في كلامين هذا خيرٌ وهذا شرٌّ، جاءت البشارةُ فيهما، وكذلك التيسيرُ في الأصل على المفرح، فإذا جُمع في كلامين هذا خيرٌ وهذا شرٌّ، جاء[1] التيسيرُ فيهما جميعاً. قال الفرَّاء: وقولُه تعالى: «فسنيسِّره»: سَنُهيِّئُه. والعربُ تقول: قد يَسَّرَتِ الغنم: إذا وَلَدتْ أو تهيَّأَتْ للولادة؛ قال:

هما سيِّدانا يزعمان وإنَّما يَسُودانِنا أنْ يَسَّرتْ غَنماهما[2]

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: مات. يقال: رَدِيَ الرجلُ يَرْدَى رَدًى: إذا هلك. قال:

صَرَفتُ الهوى عنهنَّ من خشيةِ الرَّدى[3]

وقال أبو صالح وزيد بن أسلم: «إذا تردَّى» أي: سَقَطَ في جهنم[4]؛ ومنه المتردِّية[5]. ويقال: رَدَى في البئر وتردَّى: إذا سقط في بئر، أو تهوَّر من جبل. يقال:

---

(١) في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧١: جاز.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧١، والبيت لأبي أسيدةَ الدُّبَيْري، كما في تهذيب الألفاظ لابن السكيت ١/ ١٣٥، واللسان (يسر).

(٣) وعجزه: ولست بمَقْليِّ الخلالِ ولا قالِ، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٣٥. قال الشارح: الخلال: المصادقة، والمعنى: صرفت الهوى عنهن لا لأنني قليتهن ولا لأنهن قَلَيْنني، ولكن خشية الافتضاح والعار.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٨٩، وأخرجه عن أبي صالح الطبري ٢٤/ ٤٧٤.

(٥) هي التي تطيح في بئر فتموت. تاج العروس (ردى).

ما أدري أين رَدَى؟ أي: أين ذهب[١].

و«ما»: يحتملُ أن تكون جَحْداً، أي: ولا يغني عنه مالُه شيئاً. ويَحتمِلُ أن تكون استفهاماً معناه التوبيخ، أي: أيُّ شيءٍ يغني عنه إذ هلك ووقع في جهنم!

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: إنَّ علينا أن نُبَيِّن طريق الهُدَى من طريق الضلالة. فالهدى: بمعنى بيانِ الأحكام؛ قاله الزجاج[٢]. أي: على الله البيانُ، بيانُ حلالِه وحرامه، وطاعتِه ومعصيته. وقاله قتادة[٣].

وقال الفرَّاء[٤]: مَن سلك الهُدى فعَلَى الله سبيلُه؛ لقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] يقولُ: مَن أراد الله فهو على السبيل القاصِد.

وقيل: معناه إنَّ علينا لَلهُدى والإضلالَ، فترَكَ الإضلالَ، كقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وبيده كلُّ شيءٍ. وكما قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وهي تقي البردَ؛ عن الفرَّاء أيضاً[٥].

وقيل: أي: إنَّ علينا ثوابَ هُدَاه الذي هديناه.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ «لَلآخِرَةَ»: الجنة. «والأولى»: الدنيا. وكذا روى عطاءٌ عن ابن عباس، أي: الدنيا والآخرةُ لله تعالى.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: ثواب الدنيا والآخرة، وهو كقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤] فَمن طلبهما من غير مالِكِهما فقد أخطأ الطَّريق.

---

(١) الصحاح (ردى).

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٣٣٦ دون قوله: فالهدى بمعنى بيان الأحكام.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٧٥.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٧١.

(٥) المصدر السابق.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ أي: حذَّرْتكُم وخوَّفتكُم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: تَلَهَّبُ وتتوقَّد. وأصلُه: تتلظَّى؛ وهي قراءةُ عُبيد بنِ عُمير، ويحيى بنِ يعمر، وطلحةَ بنِ مصرف[١].

﴿لَا يَصْلَاهَآ﴾ أي: لا يَجِدُ صَلاَها، وهو حرُّها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ أي: الشَّقيُّ ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ نبيَّ اللهِ محمداً ﷺ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: أَعْرضَ عن الإيمان.

وروى مكحولٌ عن أبي هريرة قال: كلٌّ يدخُلُ الجنةَ إلَّا مَن أباها. قالوا: يا أبا هريرةَ، ومَن يأبى أن يدخلَ الجنة؟! قال: الذي كَذَّب وتَوَلَّى[٢].

وقال مالك: صلَّى بنا عمر بن عبد العزيز المغربَ، فقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ فلما بلغ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ وقع عليه البكاءُ، فلم يَقْدِر[٣] يتعدَّاها من البكاء، فتركها وقرأ سورةً أخرى.

وقال الفرَّاء[٤]: «إلَّا الأشقى»: إلَّا مَن كان شقيًّا في عِلْم اللهِ جلَّ ثناؤه.

وروى الضَّحاكُ عن ابن عباس قال: «لا يَصْلاها إلَّا الأشقَى» أميةُ بنُ خلف ونظراؤه الذين كذَّبوا محمداً ﷺ[٥]. وقال قتادةُ: كذَّب بكتاب الله، وتولَّى عن طاعة الله[٦].

وقال الفرَّاء[٧]: لم يكن كذَّب بردٍّ ظاهِرٍ، ولكنَّه قصَّر عمَّا أُمِر به من الطاعة،

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٤.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٧٧.

(٣) قوله: يقدر، ليس في (ظ).

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٧٢.

(٥) ذكره الرازي ٣١/ ٢٠٣.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٩٠.

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٢٧٢، وذكره عنه أيضاً الطبري ٢٤/ ٤٧٧.

فجُعِل تكذيباً، كما تقول: لقِي فلانٌ العدوَّ فكذَّب: إذا نَكَلَ ورجع عن اتِّباعه[١]. قال: وسمعتُ أبا ثروان[٢] يقول: إنَّ بني نُمَيْر ليس لِجدِّهم[٣] مكذوبةٌ. يقول: إذا لَقُوا صَدَقوا القتالَ، ولم يرجعوا. وكذلك قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢] يقول: هي حقٌّ.

وسمعتُ سلم بن الحسن يقول: سمعتُ أبا إسحاقَ الزجَّاج يقول: هذه الآيةُ التي مِن أجْلِها قال أهلُ الإرْجاءِ بالإرجاء، فزَعَموا أنه لا يدخلُ النارَ إلَّا كافرٌ؛ لقوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وليس الأمرُ كما ظنُّوا، هذه نارٌ موصوفةٌ بعينها، لا يَصْلَى هذه النارَ إلَّا الذي كذَّب وتولَّى. ولأهلِ النارِ مَنازِلُ؛ فمنها أنَّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار، واللهُ سبحانه كلُّ ما وَعَدَ عليه بجنسٍ من العذاب فجائزٌ[٤] أن يعذِّب به. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] فلو كان كلُّ مَن لم يُشْرِكْ لم يعذَّب، لم يكن في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فائدةٌ، وكان «يغفرُ ما دون ذلك» كلاماً لا معنى له[٥].

الزَّمَخْشريُّ[٦]: الآيةُ واردةٌ في الموازنة بين حالتي عظيمٍ من المشركين وعظيمٍ من المؤمنين، فأُريدَ أن يبالَغَ في صفتيهما المتناقِضَتين، فقيل: الأشقى، وجُعل

(١) قوله عن اتباعه، ليس في معاني القرآن للفراء وتفسير الطبري.

(٢) العُكْلي، وكان أعرابياً بدوياً فصيحاً، وله من الكتب: كتاب خلق الفرس، وكتاب معاني الشعر. معجم الأدباء ٧/ ١٤٨ .

(٣) اختلفت هذه الكلمة في المصادر، فوقع في بعضها: لجدهم، بالجيم كما هنا، وفي بعضها لحدهم بالحاء ينظر تهذيب اللغة ١٠/ ١٦٧ ، والصحاح وأساس البلاغة واللسان (كذب).

(٤) في (ظ): فجدير.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٦ ، وسقط منه قوله: كلاماً لا معنى له. ولم نقف على القائل: سمعت سلم بن الحسن.

(٦) في الكشاف ٤/ ٢٦٢ .

مختصًا بالصَّلْيِ، كأنَّ النار لم تُخلَق إلَّا له. وقيل: الأَتْقَى، وجُعل مختصًا بالجنة، كأنَّ الجنةَ لم تُخْلَق إلَّا له. وقيل: هما أبو جهلٍ أو أميةُ بن خلف، وأبو بكر ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: يكون بعيداً منها. ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ أي: التَّقيُّ الخائف. قال ابن عباس: هو أبو بكر ﷺ[1]، يزحْزَحُ عن دخولِ النار. ثم وصفَ الأتْقَى فقال: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يطلبُ أن يكون عند الله زاكياً، ولا يطلبُ بذلك رياءً ولا سمعةً، بل يتصدَّقُ به مُبتغياً به وجهَ الله تعالى.

وقال بعضُ أهلِ المعاني: أراد بقوله: «الأتقى» و«الأشقى»، أي: التقيُّ والشقيُّ، كقول طَرَفة:

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإن أَمُتْ فتلك سبيلٌ لَسْتُ فيها بأَوْحَدِ[2]

أي: واحد ووحيد، وتوضع «أفْعَل» موضعَ فعيلٍ، نحو قولهم: الله أكبر، بمعنى: كبير، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] بمعنى: هين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: ليس يتصدَّقُ ليُجازيَ على نعمةٍ، وإنَّما يبتغي وجهَ ربِّه الأعلى، أي: المُتعالي ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: بالجزاء. فروى عطاءٌ والضحاكُ عن ابن عباس قال: عَذَّب المشركون بلالاً، وبلالٌ يقول:

---

(١) أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٦٠. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٤٩٢: لم يختلف أهل التأويل أن المراد بالأتقى إلى آخر السورة أبو بكر الصديق ﷺ، ثم هي تتناول كلَّ من دخل في هذه الصفات.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٢، والبيت ليس في ديوان طرفة. ونسبه الأخفش في الاختيارين ص١٦١ لمالك بن القَيْن. وسلف ١٦/ ٤١٨. وهو في ديوان عبيد ابن الأبرص ص٦٨ برواية: تمنى مُرَيْءُ القيس موتي وإن أمت...

أحدٌ أحد؛ فمرَّ به النبيُّ ﷺ فقال: «أحدٌ ـ يعني الله تعالى ـ يُنجيك» ثم قال لأبي بكر: «يا أبا بكر إنَّ بلالاً يعذَّبُ في الله» فعرَفَ أبو بكر الذي يريدُ رسولُ الله ﷺ، فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلاً من ذهب ومضى به إلى أمية بنِ خلف، فقال له: أتبيعُني بلالاً؟ قال: نعم، فاشتراه فأعتقه. فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلَّا لِيدٍ كانت له عنده، فنزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾ أي: عند أبي بكر ﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾ أي: من يدٍ ومِنَّة ﴿تُجْزَىٰٓ﴾ بل ابْتَغَى بما فَعَل وجْهَ ربِّه الأعلَى[1].

وقيل: اشترى أبو بكر من أميةَ وأبيّ بنِ خلف بلالاً ببردةٍ وعَشْرِ أَوَاقٍ، فأعتقه لله، فنزلت: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[2].

وقال سعيد بن المسيب: بلغني أنَّ أمية بن خلف قال لأبي بكر حين قال له أبو بكر: أتبيعُنِيه؟ فقال: نعم، أبيعُه بنِسطاس، وكان نِسْطاس عبداً لأبي بكر، صاحبَ عشرةِ آلافِ دينار، وغلمان وجَوَارٍ ومَواشٍ، وكان مشركاً، فحمَله أبو بكر على الإسلام، على أن يكون له مالُه، فأبى، فباعه أبو بكر به. فقال المشركون: ما فَعل أبو بكر ببلالٍ هذا إلَّا ليدٍ كانت لبلالٍ عنده، فنزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾[3].

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ أي: لكن ابتغاءَ، فهو استثناءٌ منقطِعٌ؛ فلذلك نُصبت. كقولك: ما في الدار أحدٌ إلَّا حماراً. ويجوزُ الرفع. وقرأ يحيى بن وثاب: «إلا ابتغاءُ وجهِ ربِّه» بالرفع[4]، على لغةِ مَن يقول: يجوزُ الرفعُ في المستثنى. وأنشد في اللغتين قول بشر ابنِ أبي خازم:

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٨٨ .

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص٤٨٦ عن ابن مسعود ﷺ، وزاد في آخره: سَعْيَ أبي بكر وأمية ابن خلف. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٥٨ لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٩٧ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٤ ، والكشاف ٤/ ٢٦٢ والكلام منه.

أَضْحتْ خَلاءً قِفاراً لا أنيسَ بها إلَّا الجآذرَ والظلمانَ تختلفُ(١)

وقول القائل:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلَّا اليعافيرُ وإلَّا العِيسُ(٢)

وفي التنزيل: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء:٦٦] وقد تقدَّم.

﴿وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: مَرْضاته وما يقرِّب منه. و«الأعلى» من نَعْتِ الربِّ الذي استَحَقَّ صفاتِ العُلُو.

ويجوزُ أن يكون «ابتغاءَ وجهِ ربِّه» مفعولاً له على المعنى؛ لأنَّ معنى الكلام: لا يؤتي مالَه إلَّا ابتغاءَ وجهِ ربِّه، لا لمكافأةِ نِعَمِه(٣).

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: سوف يُعْطيهِ في الجنة ما يَرْضَى؛ وذلك أنَّه يعطيه أضعافَ ما أنفق. وروى أبو حَيّان التيميُّ عن أبيه عن عليٍّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِم الله أبا بكر! زوَّجني ابنتَه، وحملني إليَ دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله»(٤).

ولمَّا اشتراه أبو بكر قال له بلال: هل اشتريتَني لعَمَلك أو لعملِ الله؟ قال: بل لعملِ الله. قال: فذَرْني وعَمَلَ اللهِ، فأعتقه(٥).

---

(١) ديوان بشر ص١٥٨، والكشاف ٤/ ٢٦٢، ووقع في الديوان: الجوازئ، بدل: الجآذر، والجآذر جمع جُؤذُر ـ وتفتح الذال ـ وهو ولد البقر الوحشي. والجوازئ. الوحش. والظلمان جمع ظليم، وهو الذكر من النَّعام. القاموس (جذر) و(جزأ) و(ظلم).

(٢) البيت لِجرَان العَوْدِ النُّميري، وهو في ديوانه ص٩٧، والكتاب ٢/ ٣٢٢، والكشاف ٤/ ٢٦٢، وسلف ٦/٧.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦٢.

(٤) قطعة من حديث أخرجه الترمذي (٣٧١٤)، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٢١٠، وابن عدي ٦/ ٢٤٣٧، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٤١٠) من طريق المختار بن نافع عن أبي حيان التيمي به. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والمختار بن نافع شيخ بصري كثير الغرائب. وقال ابن الجوزي: هذا الحديث يعرف بمختار، قال البخاري: هو منكر الحديث. وقال ابن حبان: كان يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك.

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٥٥) بلفظ: إن كنتَ إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعَمَلَ الله. وذكر الحافظ في الفتح ٧/ ٩٩ أن قوله ذلك لأبي بكر كان في خلافة أبي بكر، =

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: أبو بكرٍ سيدُنا وأعْتقَ سيدّنا. يعني بلالاً ﷺ[(١)].

وقال عطاء ـ وروي عن ابن عباس ـ: إنَّ السورة نزلت في أبي الدَّحْداح، في النخلة التي اشتراها بحائطٍ له، فيما ذَكَر الثعلبيُّ عن عطاء ـ وقال القشيريُّ عن ابن عباس: بأربعين نخلةً، ولم يسمِّ الرجل[(٢)] ـ قال عطاء: كان لرجلٍ من الأنصار نخلةٌ يسقطُ مِن بَلَحِها في دارِ جارٍ له، فيتناولُهُ صبيانُه، فشكا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «تبيعُها بنخلةٍ في الجنة؟» فأبَى، فخرج فلَقِيه أبو الدَّحداحِ فقال: هل لك أن تَبيعَنِيْها بـ«حُسْنَى» ـ حائطٍ له ـ فقال: هي لك. فأتى أبو الدَّحداحِ إلى النبيِّ ﷺ وقال يا رسول الله، اشْتَرِها منِّي بنخلةٍ في الجنة. قال: «نعم، والذي نفسي بيده» فقال: هي لك يا رسول الله. فدعا النبيُّ ﷺ جارَ الأنصاريِّ، فقال: «خُذْها» فنزلت: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى آخِرِ السورة في بستان أبي الدَّحْداحِ وصاحبِ النخلة .﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ يعني أبا الدَّحداح ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: بالثواب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ يعني: الجنة .﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ يعني الأنصاريَّ ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: بالثواب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ يعني: جهنم ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: مات. إلى قوله: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ يعني: بذلك الخَزْرجيَّ؛ وكان منافقاً، فمات على نفاقه .﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ يعني: أبا الدحداح ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ في ثمنِ تلك النخلةِ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ يكافئُه عليها، يعني أبا الدَّحداح .﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ إذا أدْخَلَه الله الجنة[(٣)].

والأكثرُ أنَّ السورةَ نزلتْ في أبي بكرٍ ﷺ. ورُوي ذلك عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ وعبدِ الله بنِ الزبير وغيرِهم[(٤)]. وقد ذَكَرْنا خبراً آخرَ لأبي الدَّحْداحِ في سورة البقرة، عند قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [الآية: ٢٤٥] والله تعالى أعلم.

= بدليل الرواية الأخرى: قال بلال لأبي بكر حين توفي رسول الله ﷺ، أخرجها ابن سعد ٣/ ٢٣٨ .

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٤).

(٢) أخرجه عن ابن عباس مطولاً الواحدي في الوسيط ٤/ ٥٠٢ ، وابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٥٧ وضعفه، وقال ابن كثير: وهو حديث غريب جداً.

(٣) ذكره البغوي ٤/ ٤٩٥ إلى قوله: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

(٤) أخرجه عن عبد الله بن الزبير ﷺ الطبري ٢٤/ ٤٧٩ ، وسلف قول ابن عباس وابن مسعود ﷺ.

تفسير سورة الليل[١]

وهى مكية .

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ :« فهلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ، و ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) ﴾ .

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة: أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق ، فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ، ارزقنى جليساً صالحاً . قال : فجلس إلى أبى الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : ممن أنت؟ قال : من أهل الكوفة . قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ ؟ قال علقمة : «والذكر والأنثى ». فقال أبو الدرداء : لقد سمعتها من رسول الله ﷺ، فما زال هؤلاء حتى شككونى . ثم قال : ثم ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره ، والذى أجير من الشيطان على لسان النبى ﷺ ؟ [٢] .

وقد رواه البخارى هاهنا ومسلم ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم قال : قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء ، فطلبهم فوجدهم ، فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا ، قال: أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة ، فقال : كيف سمعته يقرأ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ قال : «والذكر والأنثى ». قال : أشهد أنى سَمعت رسولَ الله ﷺ يقرأ هكذا ، وهؤلاء يريدونى أن أقرأ : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ ، والله لا أتابعهم [٣] .

هذا لفظ البخارى:هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء ــ ورفعه أبوالدرداء ــ وأما الجمهور فقرؤوا ذلك كما هو مُثبت فى المصحف الإمام العثمانى فى سائر الآفاق :﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾،

---

(١) فى أ : « تفسير سورة والليل إذا يغشى » .

(٢) المسند (٦/ ٤٤٩) وتكملة الحديث « وصاحب الوساد : ابن مسعود ، وصاحب السر : حذيفة ، والذى أجير من الشيطان : عمار ».

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٤) وصحيح مسلم برقم (٨٢٤) .

فأقسم تعالى بـ ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أى : إذا غشىَ الخليقةَ بظلامه ، ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أى : بضيائه وإشراقه ، ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾، كقوله : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ:٨] ، وكقوله : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩] .

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً متضادا؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أى : أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة ، فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى ﴾ أى : أعطى ما أمر بإخراجه ، واتقى الله فى أموره ، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالمجازاة على ذلك ــ قاله قتادة ، وقال خَصيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، ومجاهد ،وعكرمة ، وأبو صالح ، وزيد بن أسلم : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالخلف . وقال أبو عبد الرحمن السلمى ، والضحاك : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بلا إله إلا الله . وفى رواية عن عكرمة : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بما أنعم الله عليه . وفى رواية عن زيد بن أسلم : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ قال : الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : وصدقة الفطر .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا زُهَير بن محمد ، حدثنى مَن سَمِع أبا العالية الرياحى يُحدث عن أبى بن كعب قال : سألت رسولَ الله ﷺ عن الحسنى قال : « الحسنى : الجنة » (١) .

وقوله : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾:قال ابن عباس: يعنى للخير . وقال زيد بن أسلم :يعنى للجنة.

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة(٢) الحسنةُ بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئةُ بعدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ أى : بما عنده ، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ : قال عكرمة ، عن ابن عباس : أى بخل بماله ، واستغنى عن ربه ، عز وجل . رواه ابن أبى حاتم .

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالجزاء فى الدار الآخرة ، ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أى : لطريق الشر، كما قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠] ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله ، عز وجل ، يُجازى من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان . وكل ذلك بقدر مُقدّر ، والأحاديثُ الدالة على هذا المعنى كثيرة :

رواية أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عَيَّاش ، حدثنى العطاف بن خالد ، حدثنى رجل من أهل البصرة ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن أبيه قال : سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال:« بل على أمر قد فُرِغ منه».

---

(١) ورواه الطبرى فى تفسيره (١٥/٦٩) ط ــ المعارف ، من طريق عمرو بن أبى سلمة عن زهير به .

(٢) فى أ : « عن ثواب الحسنى » .

قال : ففيم العملُ يا رسول الله ؟ قال : « كل ميسر لما خلق له » [(١)] .

رواية علي ، رضي الله عنه : قال البخاري ، حدثنا أبو نعيم : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعد [(٢)] بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بَقِيع الغَرْقَد في جنازة ، فقال : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل ؟ فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له». قال : ثم قرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** ﴾ ،إلى قوله: ﴿ **لِلْعُسْرَىٰ** ﴾ [(٣)] .

وكذا رواه من طريق شعبة ووكِيع ، عن الأعمش ، بنحوه [(٤)] . ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ،فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخْصَرَةٌ فَنَكَسَ فجعل ينكُت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحد ــ أو : ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » . ثم قرأ : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** ﴾ الآية [(٥)] .

وقد أخرجه بقية الجماعة ، من طرق ، عن سعد بن عبيدة ، به [(٦)].

رواية عبد الله بن عمر : وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال : سمعتُ سالم بنَ عبد الله يُحدث عن ابن عُمرَ : قال : قال عمر : يا رسول الله ، أرأيت ما نعمل فيه ؟ أفي أمر قد فُرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال : « فيما قد فُرغَ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب ، فإن كُلا مُيسَّر ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء » .

ورواه الترمذي في القدر ، عن بُندار ، عن ابن مَهدِي ، به [(٧)] وقال : حسن صحيح .

حديث آخر من رواية جابر : قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : يا رسول الله ، أنعمل لأمر قد فرغ

---

(١) المسند (١/ ٥) .

(٢) في م : « سعيد » .

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩٤٥) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٩٤٦،٤٩٤٧) .

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٩٤٨) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٤٧) وسنن أبي داود برقم (٤٦٩٤) وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٨) وسنن ابن ماجة برقم (٧٨) .

(٧) المسند (٢/ ٥٢) وسنن الترمذي برقم (٢١٣٥) .

منه ، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال : « لأمر قد فرغ منه » . فقال سراقة : ففيم العمل إذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل عامل مُيَسَّر لعمله » .

ورواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، به [(١)] .

حديث آخر : قال ابن جرير : حدثني يونس ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق ابن حبيب ، عن بشير [(٢)] بن كعب العدوى قال : سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا : يارسول الله، أنعمل فيما جَفَّت به الأقلام وجَرَتْ به المقادير ، أو في شيء يستأنف ؟ فقال : « بل فيما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير » . قالا : ففيم العمل إذاً ؟ قال : « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذى خلق له » . قالا : فالآن نجد ونعمل [(٣)] .

رواية أبي الدرداء : قال الإمام أحمد : حدثنا هَيْثَم [(٤)] بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبس ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء قال : قالوا : يا رسول الله ، أرأيت ما نعمل ، أمر قد فُرِغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال : « بل أمر قد فرغ منه » . قالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله ؟ قال : « كل امرئ مهيأ لما خلق له » [(٥)] .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر : قال ابن جرير : حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كَبْشَة ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، حدثني خُلَيد العَصَرى ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجَنْبَتَيْهَا ملكان يناديان بصوت يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً » . وأنزل الله في ذلك القرآن : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ [(٦)] .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبي كبشة ، بإسناده مثله .

حديث آخر : قال ابن أبي حاتم : حدثني أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عُمَرَ العَدَاني، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رجلا كان له نخل ، ومنها نخلة فرعها إلى [(٧)] دار رجل صالح فقير ذي عيال ، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ الثمر من نخلته ، فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الفقير فنزل من نخلته فَنَزَع [(٨)] الثمرة من أيديهم ،وإن أدخل أحدهم

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٨) .

تنبيه : لم يقع ذكر سراقة في رواية الطبرى ولا في رواية أبي الطاهر في صحيح مسلم ، وإنما وقع في صحيح مسلم من طريق آخر .

(٢) في أ : « بشر » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٤) .

(٤) في أ : « حدثنا هشيم » .

(٥) المسند (٦/ ٤٤١) .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٢) .

(٧) في م ، أ : « في » .

(٨) في أ : « فينزع » .

الثمرة فى فمه أدخل أصبعه فى حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه . فشكا ذلك الرجلُ إلى النبى ﷺ، وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة ، فقال له النبى ﷺ : « اذهب » . ولقى النبى ﷺ صاحب النخلة ، فقال له النبى ﷺ : « أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة» فقال له : لقد أعطيت ، ولكن يعجبنى ثمرها ، وإن لى لنخلا كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها. فذهب النبى ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة . فقال الرجل : يا رسول الله ، إن أنا أخذت النخلة فصارت لى النخلة فأعطيتها أتعطينى بها ما أعطيته بها نخلة فى الجنة ؟ قال : « نعم » . ثم إن الرجل لقى صاحب النخلة ، ولكلاهما نخل، فقال له : أخبرك أن محمداً، [قد] (١) أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة ، فقلت له : قد أعطيتُ ولكن يعجبنى ثمرها . فسكت عنه الرجلُ ، فقال له : أتُراك إذا بعتها ؟ قال: لا ، إلا أن أعطى بها شيئاً ، ولا أظننى أعطاه . قال : وما مناك بها (٢) ؟ قال : أربعون نخلة. فقال الرجل : لقد جئتَ بأمر عظيم،نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ؟! ثم سكتا وأنشأ فى كلام [آخر](٣) ، ثم قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة ، فقال : أشهِدْ لى إن كنت صادقاً . فأمر بأناس فدعاهم فقال : اشهدوا أنى قد أعطيته من نخلى أربعين نخلة بنخلته التى فرعها فى دار فلان ابن فلان . ثم قال : ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة : قد رضيت .ثم قال بعدُ : ليس بينى وبينك بيع لم تفترق قال(٤) له: قد أقالك الله ، ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة . فقال صاحب النخلة: قد رضيتُ على أن تعطينى الأربعين على ما أريد .قال : تعطينيها على ساق . ثم مكث ساعة، ثم قال : هى لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق ، فتفرقا ، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن النخلة المائلة فى دار فلان قد صارت لى، فهى لك . فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له : « النخلة لك ولعيالك » . قال عكرمة : قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ إلى قوله :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ إلى آخر السورة (٥) .

هكذا رواه ابن أبى حاتم ، وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : حدثنى هارون ابن إدريس الأصم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أى بنى ، أراك تعتق أناساً ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالا جُلدَاء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! فقال: أىْ أبَت ، إنما أريد ــ أظنه قال ــ ما عند الله : قال : فحدثنى بعض أهل بيتى أن هذه الآية

(١) زيادة من م .
(٢) فى م ، أ : « فيها » .
(٣) زيادة من م .
(٤) فى م : « فقال » .
(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٣٢) وقال : « أخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس » .

أنزلت فيه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ : قال مجاهد : أى إذا مات . وقال أبو صالح ، ومالك عن زيد بن أسلم : إذا تردى فى النار .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾ .

قال قتادة : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾أى : نبين الحلالَ والحرامَ . وقال غيره : من سَلَك طريق الهدى وَصَل إلى الله. وجعله كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]. حكاه ابن جرير .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ أى : الجميع ملكنا [٢]وأنا المتصرف فيهما .

وقوله : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ : قال مجاهد : أى توهج .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يخطب يقول : « أنذركم النار [أنذرتكم النار، أنذرتكم النار] [٣] » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامى هذا. قال : حتى وقعت خَميصة كانت على عاتقه عند رجليه [٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ،حدثنا شعبة ،حدثنى أبو إسحاق : سمعت النعمان ابن بشير يخطب ويقول : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منها دماغه » .

رواه البخارى [٥] .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ،عن أبى إسحاق ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يَغلى منهما دماغه كما يَغْلى المِرْجَل،ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً،وإنه لأهونهم عذابا»[٦] .

وقوله :﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أى :لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى. ثم فسره فقال : ﴿ الَّذِي كَذَّبَ ﴾ أى : بقلبه ، ﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أى : عن العمل بجوارحه وأركانه .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٢) .
(٢) فى م : « ملكاً » .
(٣) زيادة من م ، أ ، والمسند .
(٤) المسند (٤/ ٢٧٢) .
(٥) المسند (٤/ ٢٧٤) وصحيح البخارى برقم (٦٥٦١،٦٥٦٢) .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢١٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا عبد ربه[١] بن سعيد ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل النار إلا شقى » . قيل : ومن الشقى ؟ قال : « الذى لا يعمل بطاعة ،ولا يترك لله معصية » [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس وسُريج قالا : حدثنا فُلَيح، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أمتى تدخل الجنة يوم القيامة إلامن أبى » . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » .

ورواه البخارى عن محمد بن سنان ، عن فُلَيح ،به [٣] .

وقوله : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾ أى : وسيُزَحزح عن النار التقى النقى الأتقى . ثم فسره بقوله : ﴿الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أى : يصرف ماله فى طاعة ربه ؛ ليزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ، ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أى :ليس بَذْله حاله [٤] فى مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطى فى مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ أى : طمعاً فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أى : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها ،وأولى الأمة [٥] بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ . وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾،ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ؛ فإنه كان صديقاً تقياً كريما جواداً بذالا لأمواله فى طاعة مولاه ، ونصرة رسول الله ، فكم من دراهم [٦] ودنانير [٧] بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده مِنّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود ــ وهو سيد ثقيف ، يوم صلح الحديبية ــ : أما والله لولا يد لك كانت عندى لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال: ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ . إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين فى سبيل الله دَعَته خَزَنَةُ الجنة : يا عبد الله ، هذا خير»، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما على من يُدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : «نعم، وأرجو أن تكون منهم »[٨] .

آخر تفسير سورة « الليل » ولله الحمد والمنة [٩]

---

(١) فى أ : « حدثنا عبد الله » .
(٢) المسند (٢/ ٣٤٩) .
(٣) المسند (٢/ ٣٦١) وصحيح البخارى برقم (٧٢٨٠) .
(٤) فى أ : « ماله » .
(٥) فى أ : « الآية » .
(٦) فى م ، أ : « من درهم » .
(٧) فى أ : « ودينار » .
(٨) صحيح البخارى برقم (٢٨٤١) وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٩) فى أ : « ولله الحمد والمنة والثناء الحسن الجميل » .

سورة واللّيل

مكّيّة، وهي إحدى وعشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ
لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ
بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا
تَرَدَّىٰٓ ١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ أي: حين يغشى الشمسَ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس، ٤/٩١]، أو النهارَ، أو كلّ ما يُواريه بظلامه.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ظَهر بزوال ظلمة الليل، أو تبيَّن وتكشَّف بطلوع الشمس.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ أي: والقادر العظيم القدرةِ الذي خلَق صنفَي الذَّكر والأنثى مِن كلّ ما له توالد. وقيل: هما آدمُ وحوّاءُ.[1] وقُرئ: "وَالذَّكَرِ وَالأُنْثى"،[2] وقُرئ: "وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثى".[3] وقيل: ﴿مَا﴾ مصدريّة.[4]

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ جواب القسم، و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع شَتيت، أي: إنّ مساعيَكم لأشتاتٌ مختلفة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾... إلخ تفصيل لتلك المساعي المشتّتة وتبيين لأحكامها، أي: فأمّا مَن أعطى حقوق ماله، واتّقى محارم الله التي نهى عنها، وصدّق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان، أو بالكلمة الحسنى

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٧٤/٤.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعليّ وابن مسعود وأبي الدرداء. شواذ القراءات للكرماني، ص ٥١٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٣٠.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٣١.

٤ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥٤٠/٣.

وهي كلمة التوحيد، أو بالملّة الحسنى وهي ملّة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنّة. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فسنهيّئه للخصلة التي تؤدّي إلى يُسر وراحة، كدخول الجنّة ومباديه، مِن "يَسَّر الفرسَ للركوب" إذا أسرَجها وألجَمَها.

[٣٠٢ظ] / ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ أي: بماله فلم يبذله في سبيل الخير ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي: زهِد فيما عنده تعالى كأنّه مستغنٍ عنه فلم يتّقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة. ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ما ذُكر مِن المعاني المتلازمة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: للخصلة المؤدّية إلى العُسر والشدّة، كدخول النار ومقدِّماته لاختياره لها.

ولعلّ تصديرَ القسمين بالإعطاء والبخل مع أنّ كلًّا منهما أدنى رتبةً ممّا بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للإيذان بأنّ كلًّا منهما أصيل فيما ذُكر لا تتمّة لِما بعدهما مِن التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء.

وتفسير الأوّل بإعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما أُمر به،[١] مع كونه خلاف الظاهر، يأباه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ أي: ولا يغني، أو أيُّ شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به؟ ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: هَلَك، تفعّل مِن الردى الذي هو الهلاك، أو تردّى في الحفرة إذا قُبِر، أو تردّى في قعر جهنّم.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ استئناف مقرِّر لِما قبله، أي: إنّ علينا بموجَب قضائنا المبنيّ على الحِكَم البالغة حيث خلقْنا الخَلْق للعبادة أن نبيِّن لهم طريق الهدى وما يؤدّي إليه مِن طريق الضلال وما يؤدّي إليه. وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه، حيث بيّنا حال مَن سَلَك كلا الطريقين ترغيبًا وترهيبًا، ومِن ههنا تبيَّن أنّ الهداية هي الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها قطعًا.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التصرّف الكلّي فيهما كيفما نشاء، فنفعل فيهما ما نشاء مِن الأفعال التي مِن جملتها ما وُعدنا مِن التيسير لليسرى والتيسير للعسرى. وقيل: إنّ لنا كلَّ ما في الدنيا والآخرة فلا يضرُّنا ترككم الاهتداءَ بهُدانا.[٢]

---

١ كما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٤٠-٥٤١.
٢ كما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٤١.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ⑭ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ⑮ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ⑰ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ⑲ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ㉑﴾

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ بحذف إحدى التاءين مِن "تتلظّى"، أي: تتلهّب. وقُرِئ على الأصل.[1]

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ صُلِيًّا لازمًا ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ إلّا الكافر، فإنّ الفاسق لا يصلاها صُلِيًّا لازمًا. وقد / صرّح به قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذّب بالحقّ وأعرض عن الطاعة. [٣٠٣و]

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: سيُبعَد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ المبالِغ في اتّقاء الكفر والمعاصي، فلا يحوم حولها فضلًا عن دخولها أو صُلِيّها الأبديّ، وأمّا مَن دونه ممّن يتّقي الكفر دون المعاصي فلا يُبعَّد عنها هذا التبعيدَ، وذلك لا يستلزم صُلِيَّها بالمعنى المذكور، فلا يقدح في الحصر السابق. ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ يعطيه ويصرفه في وجوه البرّ والحسنات.

وقوله تعالى: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ إمّا بدل مِن ﴿يُؤْتِى﴾ داخل في حُكم الصلة لا محلّ له، أو في حيّز النصب على أنّه حال مِن ضمير ﴿يُؤْتِى﴾، أي: يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكيًا ناميًا لا يريد به رياءً ولا[2] سُمعةً.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ استئناف مقرِّر لكون إيتائه للتزكّي خالصًا لوجه الله تعالى، أي: ليس لأحد عنده نعمة مِن شأنها أن تُجزى وتُكافأ فيَقصِد بإيتاء ما يُؤتى مُجازاتَها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ استثناء منقطِع مِن ﴿نِّعْمَةٍ﴾. وقُرِئ بالرفع[3] على البدل مِن محلّ ﴿نِّعْمَةٍ﴾، فإنّه الرفع إمّا على الفاعليّة أو على الابتداء،

---

١ قرأ بها رويس والبزي. النشر لابن الجزري، ٢/٢٣٢، ٤٠١.

٢ س - لا.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني ويحيى بن وثّاب. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥١٦؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٣١.

و﴿مِن﴾ مزيدة. ويجوز أن يكون مفعولًا له؛ لأنّ المعنى: لا يُؤتي ماله إلّا ابتغاءَ وجه ربّه لا لمكافأة نعمةٍ.[١]

والآيات نزلت في حقّ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالًا في جماعة كان يُؤذيهم المشركون فأعتقهم، ولذلك قالوا: المراد بالأشقى أبو جهل أو أميّةُ بن خَلَف. وقد روى عطاءٌ والضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّه عذّب المشركون بلالًا وبلالٌ يقول: «أَحَد أَحَد» فمرّ به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: «أَحَدٌ، يعني الله تعالى، ينجيك»، ثمّ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «إنّ بلالًا يعذَّب في الله»، فعَرَف مراده عليه السلام، فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلًا مِن ذهب ومضى به إلى أميّةَ بن خَلَف، فقال له: أتبيعني بلالًا؟ قال: نعم، فاشتراه فأعتقه، / فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلّا ليد كانت له عنده، فنزلت.[٢] [٣٠٣ظ]

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ جواب قسم مضمَر، أي: وبالله لسوف يرضى، وهو وعد كريم بنَيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها؛ إذ به يتحقَّق الرِّضى. وقُرئ: "يُرضَى"[٣] مبنيًا للمفعول مِن "الإرضاء".

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أعطاه الله تعالى حتّى يرضى وعافاه مِن العسر ويسَّر له اليُسر».[٤]

---

١ هذا الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٥٧٦/٤.

٢ بمعناه في جامع البيان للطبري، ٤٧٩/٢٤-٤٨٠؛ في معالم التنزيل للبغوي، ٤٤٨/٨-٤٤٩؛ وبلفظه في اللباب لابن عادل، ٣٧٨/٢٠.

٣ قراءة شاذّة، غير منسوبة. اللباب لابن عادل، ٣٧٩/٢٠.

٤ س + والحمد لله ربّ العالمين. | الكشف والبيان للثعلبي، ٤٣٨/٢٩ (الليل، ٩٢/١)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٠١/٤ (الليل، ٩٢/١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٧٦/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

سُورَةُ اللَّيْلِ

لا خلافَ في أنها إحدى وعشرون آيةً، واختلف في مكيتها ومدنيتها، فالجمهورُ على أنها مكية، وقال عليّ بن أبي طلحة: مدنية. وقيل: بعضُها مكيٌّ وبعضها مدنيٌّ.

وكذا اختلف في سبب نزولها، فالجمهور على أنها نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وروي ذلك بأسانيدَ صحيحة عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما[1].

وقال السديُّ: إنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، وذلك أنه كان في دارِ منافقٍ نخلةٌ يقعُ منها في دار يتامى في جواره بعضُ بلحٍ، فيأخذه منهم، فقال له ﷺ: «دعها لهم ولك بدلها محلٌّ في الجنة» فأبى، فاشتراها أبو الدحداح بحائطها، فقال للنبيّ ﷺ: أَهَبُها لهم بالنخلة التي في الجنة، فقال ﷺ: «افعل» فوهبها فنزلت[2]، وروى نحوه مطوّلاً مبهماً فيه أبو الدحداح ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس بسندٍ ضعيفٍ كما نص عليه الحافظ السيوطيُّ[3].

وذكر بعضُهم أنَّ قوله تعالى فيها: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ إلخ نزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسكت عمّا عداه، ونُقِلَ عن بعض المفسِّرين أنَّ هذا مُجمعٌ عليه، وإن زَعَمَ بعضُ الشيعة أنه نزل في الأمير كرم الله تعالى وجهه، وسيأتي إن شاء الله تعالى شرحُ ما له نزل.

---

(١) أخرجه عن ابن مسعود ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٨، والواحدي في أسباب النزول ص٤٨٦، وذكره عن ابن عباس الواحدي أيضاً ص ٤٨٨.

(٢) ذكره عن السدي أبو حيان في البحر ٨/ ٤٨٣.

(٣) في الدر المنثور ٦/ ٣٥٧، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية وقال: وهو حديث غريب جدًا.

ولَمّا ذَكَرَ سبحانه فيما قبلها «قد أفلح» إلخ ذَكَرَ سبحانه فيها من الأوصاف ما يحصلُ به الفلاح، وما يحصل به الخيبة، ففيها نوعُ تفصيلٍ لذلك، لاسيما وقد عقَّبَ جلَّ وعلا ذلك بشيءٍ من أنواع الفلاح وأنواع الخيبة والعياذ بالله تعالى، فقال عزَّ من قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾ أي: حين يغشى الشمسَ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤]، أو النهار كقوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] أو كلَّ ما يواريه في الجملة بظلامه، والمقسَمُ به في الأوجه الثلاثة الليلُ كلُّه.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ②﴾ ظَهَرَ بزوال ظُلْمة الليل، أو تبيَّن وانكشفَ بطلوع الشمس، والأولُ على تقدير كون المغشيِّ النهار، أو كلَّ ما يُوارَى؛ إذ مآلهما اعتبارُ وجود الظلام، والثاني على تقدير كونه الشمس؛ إذ مآله اعتبار غروبها، فيحسُنُ التقابلُ بين القرينتين على ذلك.

واختلافُ الفعلين مُضِيًّا واستقبالاً قد تقدم الكلام فيه.

وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير: «تتجلى» بتاءين، على أنَّ الضميرَ للشمس، وقرئ: «تُجْلَى» بضم التاء وسكون الجيم، على أنَّ الضميرَ لها أيضاً[(١)].

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ③﴾ أي: والقادرِ العظيمِ القدرةِ الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من الحيوان المتَّصف بذلك. وقيل: من بني آدم.

وقال ابن عباس والحسن والكلبي: المراد بالذَّكر آدمُ عليه السلام، وبالأنثى حواء رضي الله عنها.

وأيًّا ما كان فـ «ما» موصولةٌ بمعنى: «مَنْ»، وأُوثرت عليها لإرادة الوصفية على ما سمعتَ، وتحتملُ المصدريةَ وليس بذاك.

---

(١) القراءتان في البحر المحيط ٨/ ٤٨٣.

وقرئ: «والذي خلق»[١]، وقرأ ابن مسعود: «والذَّكر والأنثى»[٢] وتبعه ابن عباس كما أخرج ذلك ابن النجار في «تاريخ بغداد» من طريق الضحاك عنه[٣]، ونُسبت لعليٍّ كرم الله تعالى وجهه[٤].

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ وغيرهم عن علقمةَ أنه قَدِمَ الشام فجلسَ إلى أبي الدرداء رضي الله عنه، فقال له أبو الدرداء: ممن[٥] أنت؟ فقال: من أهل الكوفة. قال: كيف سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقرأ[٦]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾. قال علقمة: «والذكر والأنثى». فقال أبو الدرداء: أشهدُ أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ والله لا أتابعهم.

وأنت تعلم أنَّ هذه قراءةٌ شاذَّةٌ منقولةٌ آحاداً لا تجوزُ القراءةُ بها، لكنها بالنسبة إلى مَنْ سَمِعها من النبيِّ عليه الصلاة والسلام في حُكْمِ المتواترة، تجوزُ قراءته بها.

وذكر ثعلبُ أنَّ من السلف مَنْ قرأ: «وما خَلَقَ الذكرِ» بجرِّ الراء، وحكاها الزمخشريُّ عن الكسائي[٧]، وخرَّجوا ذلك على البدل من «ما» بمعنى: وما خلقه الله، أي: ومخلوقِ الله الذَّكرِ والأنثى، قيل: وقد يُخرَّجُ على توهُّم المصدر بناءً على مصدرية «ما»، أي: وخَلْقِ الذكر والأنثى، كما في قوله:

---

(١) القراءة في الكشاف ٤/ ٢٦٠، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٩، منسوبة لابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) القراءات الشاذة ص١٧٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٤.
(٣) عزاه له السيوطي في الدر ٦/ ٣٥٨ وجاء فيه أنه كان يقرأ على قراءة زيد بن ثابت إلا ثمانية عشر حرفاً، أخذها من قراءة عبد الله بن مسعود. وعدّ منها هذه القراءة.
(٤) المحتسب ٢/ ٣٦٤.
(٥) في (م): فمن.
(٦) كذا في الأصل و(م): والذي في المصادر: كيف سمعت عبد الله يقرأ. والحديث عند البخاري (٤٩٤٣)، ومسلم (٨٢٤)، والترمذي (٢٩٣٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦١٢)، وأحمد (٢٧٥٣٥).
(٧) الكشاف ٤/ ٢٦٠-٢٦١، وذكرها عن الكسائي أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٤، وذكر كلام ثعلب ابنُ جني في المحتسب ٢/ ٣٦٤.

تطوفُ العُفاةُ بأبوابه كما طافَ بالبِيعة الراهبِ[1]

بجَرِّ الراهب على توهُّم النطق بالمصدر، أي: كطواف الراهب بالبيعة[2].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ أي: مساعيكم، فإنَّ المصدرَ المضافَ يفيدُ العمومَ، فيكونُ جَمْعاً معنى، ولذا أُخبر عنه بجمعٍ، أعني: قوله تعالى: ﴿لَشَتَّىٰ﴾ فإنه جَمْعُ شتيت بمعنى متفرِّق. ويجوز أن لا يُعتبَر «سعيكم» في معنى الجمع، ويكون «شتى» مصدراً مؤنَّثاً كَذِكْرى وبُشْرى خبراً له بتقدير مضاف، أي: ذو شتَّى، أو بتأويله بالوصف، أي: شتيت، أو بجعله عينَ الافتراق مبالغةً.

وأيًّا ما كان فالجملةُ جوابُ القَسَم كما أخرجه ابن جرير عن قتادة[3]. وجُوِّزَ أن يكون الجوابُ مقدَّراً كما مرَّ غير مرَّة.

والمراد بتفرُّق المساعي اختلافُها في الجزاء، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ إلخ تفصيلٌ مبيِّنٌ لتفرُّقها واختلافها في ذلك.

وجُوِّزَ أن يُرادَ باختلافها كونُ البعض طالباً لليوم المتجلِّي، والبعض طالباً لِلَّيل الغاشي، وبعضها مستعاناً بالذَّكَر، وبعضها مستعاناً بالأنثى، فيكونُ الجوابُ شديدَ المناسبة بالقَسَم، ولا يخفى بُعْدُهُ وركاكته.

والظاهر أنَّ المرادَ بالإعطاء بذلُ المال، ومن هنا قال ابن زيد: المراد إنفاق ماله في سبيل الله تعالى. وقال قتادة: المعنى: أعطى حقَّ الله تعالى، وظاهرُهُ الحقوقُ المالية.

﴿وَاتَّقَىٰ﴾ أي: واتَّقى اللهَ عزَّ وجلَّ كما قال ابن عباس، وفي معناه قولُ قتادة: واتقى ما نُهي عنه. وفي روايةٍ: محارمَ الله تعالى.

---

(١) الجمل في النحو للخليل ص ١٧٥، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٣، والأضداد لابن الأنباري ص ٨٨، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٣، والدر المصون ١١/ ٢٨.

(٢) وجعله الخليل من الجرِّ على الجوار، وقال السمين: والذي يظهر في تخريج البيت أن أصله: الراهبي بياء النسب، نسبة إلى الصفة، ثم خفِّف، وهو قليل. ينظر الجمل ص١٧٥، والدر المصون ١١/ ٢٨.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٦٠.

وقال مجاهد: واتقى البخلَ. وهو كما ترى.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ أي: بالكلمة الحسنى، وهي كما قال أبو عبد الرحمن السلمي وغيره وروي ذلك عن ابن عباس: لا إله إلا الله، أو هي ما دلَّتْ على حقٍّ كما قال بعضهم، وتدخلُ كلمةُ التوحيد دخولاً أوليًا.

أو بالملة الحسنى وهي مِلَّةُ الإسلام.

وقال عكرمة وجماعة وروي عن ابن عباس أيضاً: هي المثوبةُ بالخلف في الدنيا مع المضاعفة.

وقال مجاهدٌ: الجنةُ.

وقيل: المثوبةُ مُطلقاً.

ويترجَّحُ عندي أنَّ الإعطاءَ إشارةٌ إلى العبادة المالية، والاتِّقاءَ إشارةٌ إلى ما يشملُ سائرَ العبادات من فعل الحسنات وترك السيئات مطلقاً، والتصديقَ بالحسنى إشارةٌ إلى الإيمان بالتوحيد أو بما يعمُّهُ وغيره مما يجبُ الإيمان به، وهو تفصيلٌ شاملٌ للمساعي كلِّها.

وتقديمُ الإعطاء لما أنه سببُ النزول ظاهراً، فقد أخرج الحاكم وصححه عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنه: أراك تُعتِقُ رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقيمون دونك. فقال: يا أبه، إنما أُريد ما أُريد. فنزلت: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ) إلى (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ)(1).

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود قال: إنَّ أبا بكرٍ

---

(1) المستدرك ٢/٥٢٥، وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٦٢)، وفيه:... لو أعتقت مَن يمنع ظهرك. فقال: مَنْعَ ظهري أُريد. وأخرجه الطبري ٢٤/٤٦٦ عن عامر بن عبد الله بن الزبير به، ولم يقل: عن أبيه، وفيه:... إنما أريد، أظنه قال: ما عند الله.

اشترى بلالاً من أمية بن خلف ببُرْدةٍ وعشرة أواق، فأعتقه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[1].

وكذا على القول بأنها نزلت في أبي الدحداح.

ولَمَّا كان الإيمانُ أمراً معتنًى به في نفسه، أُخِّرَ عن الاتقاء ليكون ذِكْرُهُ بعده من باب ذِكْرِ الخاصّ بعد العامّ، مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة.

وقيل: المراد: أعطى الطاعةَ، واتقى المعصيةَ، وصدَّقَ بالكلمة الدالة على الحقِّ ككلمة التوحيد. وفيه أنَّ المعروفَ في الإعطاء تعلُّقه بالمال خصوصاً، وقد وَقَعَ في مقابلة ذِكْرِ البخل والمال. وأَمْرُ تأخير الإيمان عليه بحاله، وقيل: أُخِّرَ لأنَّ من جملة إعطاء الطاعة الإصغاءَ لتعلُّم كلمة التوحيد التي لا يتمُّ الإيمان إلا بها، ومن جملة الاتقاءِ الاتقاءُ عن الإشراك، وهما متقدِّمان على ذلك. وليس بشيء.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ فسنهيِّئُهُ للخصلة التي تؤدِّي إلى يُسْرٍ وراحةٍ كدخول الجنة ومباديه. مِن يَسَّرَ الفرس للركوب: إذا أَسْرَجها وألجمها. وَوَصْفُها باليسرى إما على الاستعارة المصرِّحة، أو المجاز المرسل، أو التجوُّز في الإسناد.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله، فلم يبذله في سبيل الخير. وقيل: أي: بَخِلَ بفعلِ ما أُمر به. وفيه ما فيه.

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي: وزَهِدَ فيما عنده عزَّ وجلَّ، كأنَّه مستغنٍ عنه سبحانه، فلم يتَّقه جلَّ وعلا. أو: استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العُقبى؛ لأنه في مقابلة «واتقى»، كما أنَّ قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ في مقابلة «وصدق بالحسنى»، والمراد بالحسنى فيه ما مرَّ في الأقوال قبلُ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ أي: للخصلة المؤدِّية إلى العُسْر والشِّدَّةِ كدخول النار ومباديه، وَوَصْفُها بالعُسْرى على نحو ما ذُكر.

وأصل التيسير من اليُسْر بمعنى السهولة، لكن أُريد التهيئةُ والإعداد للأمر،

---

(١) تاريخ دمشق ٣٠/ ٦٩، وعزاه لهم السيوطي في الدر ٦/ ٣٥٨.

أعني: ما يُفضي إلى راحةٍ وما يُفضي إلى شِدَّةٍ. والسينُ في «سنيسِّره» قيل: للتأكيد، وقيل: للدلالة على أنَّ الجزاء الموعود معظمُه يكون في الآخرة التي هي أمرٌ منتظرٌ متراخٍ. وتقديمُ البخل فالاستغناءِ فالتكذيب يُعلَمُ وجهُهُ مما تقدَّم.

وفي «الإرشاد»: لعلَّ تصديرَ القَسَمين بالإعطاء والبخل مع أنَّ كلًّا منهما أدنى رتبةً مما بعدُ في استتباع التيسير لليسرى والتعسير للعسرى؛ للإيذان بأنَّ كلًّا منهما أصيلٌ فيما ذُكِرَ [لا تتمة] لِمَا بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء[1].

وقيل: التيسير أولاً بمعنى اللُّطْف، وثانياً بمعنى الخذلان، واليسرى والعسرى: الطاعة؛ لكونها أيسرَ شيءٍ على المتَّقي وأعسرَه على غيره، والمعنى: أمَّا مَن أَعْطَى.. إلخ[2]، فسنلطفُ به ونوفِّقهُ حتى تكونَ الطاعةُ عليه أيسر الأمور وأهونها، من قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وأما مَنْ بخل.. إلخ فسنخذله ونمنعهُ الألطاف حتى تكونَ الطاعةُ أعسرَ شيءٍ عليه وأشدّ، من قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وأصل هذا: فسنيسِّرهُ للطاعة العسرى، ثم أُريد ما ذُكِرَ على أنَّ الوصفَ هو المقصودُ بتعلُّقِ التيسير، أعني: التعسير، لا الموصوف أعني الطاعة، ومع هذا إطلاقُ التيسير للعُسرى مشاكلةٌ.

وجُوِّزَ أن يُرادَ باليسرى طريقُ الجنة، وبالعسرى طريق النار، وبالتيسير في الموضعين معنى الهداية، وهو في الآخرة وَعْداً ووعيداً، وأَمْرُ المشاكلة فيه على حاله.

وجُوِّزَ أن يُرادَ بالتيسير التهيئةُ والإعدادُ، واليسرى والعسرى: الطاعة والمعصية ومباديهما من الصفات المحمودة والمذمومة. وهو وجهٌ حَسَنٌ غيرُ بعيدٍ عن الأول، وكلاهما حَسَنُ الطِّباق؛ لما صحَّ في الأخبار، أخرج الإمام أحمد والبخاريُّ ومسلم وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجه وغيرهم عن عليِّ بن أبي طالب

(١) إرشاد العقل السليم ٩/ ١٦٧ وما سلف بين حاصرتين منه.
(٢) قوله: إلخ. ليس في (م).

كرم الله تعالى وجهه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فقال: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعدهُ من الجنة ومقعده من النار». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتَّكلُ. فقال: «اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلق له، أمَّا مَن كان من أهل السعادة فَيُيسَّرُ لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيُيسَّرُ لعمل أهل الشقاء» ثم قرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ الآيتين[1].

وكأن حاصلَ ما أراده ﷺ بقوله: اعملوا.. إلخ: عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لأجله وأُمرتم به، وكِلُوا أمور الربوبية المغيبة إلى صاحبها، فلا عليكم بشأنها.

وأيًّا ما كان فالمراد بِمَنْ أعطى.. إلخ وبِمَنْ بخل.. إلخ: المتَّصفُ بعنوان الصلة مطلقاً وإن كان السببُ خاصًّا؛ إذ العبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، نعم هو قطعيُّ الدخول.

وقيل: «مَنْ أعطى» أبو بكر ﷺ، و«مَنْ بَخِلَ» أميةُ بن خلف.

وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر[2] عن ابن عباس أنَّ الأولَ أبو بكر ﷺ، والثاني أبو سفيان بن حرب. ونحوه عن عبد الله بن أبي أوفى. وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّ أبا سفيان أسلم وقوي إسلامه في آخر أمره عند أهل السنة، وفي رواية الطستي عنه: أنَّ «وأما من بخل» إلخ نزل في أبي جهل[3].

ولعلَّ كلَّ ما قيل من التخصيص فهو من باب التنصيص على بعض أفراد العامِّ لتحقُّقِ دخوله فيه عند مَنْ خَصَّصَ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ أي: ولا يغني عنه، على أنَّ «ما» نافية. أو: أيّ شيءٍ يُغني عنه ماله الذي يبخل به، على أنها استفهامية.

---

(١) أحمد (١٠٦٧)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، والترمذي (٣٣٤٤)، والنسائي في الكبرى (١١٦١٤)، وابن ماجه (٧٨).

(٢) تاريخ دمشق ٣٠/ ٧٠، والكلام من الدر المنثور ٦/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٥٩.

﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: هلك، تفعَّل من الرَّدى[١]، وهو الهلاكُ. قاله مجاهد.

وقيل: تردَّى في حفرة القبر.

وقال قتادة وأبو صالح: تردَّى في جهنم، أي: سقط[٢].

وقال قوم: تردَّى بأكفانه، من الرِّداء، وهو كنايةٌ عن موته وهلاكه.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ استئنافٌ مقرِّرٌ لما قبله، أي: إنَّ علينا بموجب قضائنا المبنيِّ على الحِكَم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أنْ ندلَّهم ونُرشدهم إلى الحقِّ، أو أن نُبيِّن لهم طريقَ الهدى وما يُؤدِّي إليه من طريق الضلال وما يُؤدِّي إليه، وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه، فلا يتمُّ الاستدلال بالآية على الوجوب عليه عزَّ وجلَّ بالمعنى الذي يزعمه المعتزلة.

وقيل: المراد أنَّ الهدى موكولٌ علينا لا على غيرنا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وليس المعنى أنَّ الهدى يجبُ علينا، حتى يكونَ بظاهره دليلاً على وجوب الأصلح عليه، تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً. وفيه أنَّ تعلُّقَ الجارِّ بالكون الخاصِّ ـ أعني موكولاً ـ خلافُ الظاهر.

ومِثْلُه ما قيل: إنَّ المرادَ: ثم إنَّ علينا طريقة الهدى، على معنى أنَّ مَنْ سلك الطريقةَ المبيَّنةَ بالهدى والإرشاد إليها، يصلُ إلينا، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] أي: مَنْ سلك السبيلَ القَصْدَ ـ أي: المستقيم ـ وَصَلَ إليه سبحانه.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: التصرُّفَ الكُلِّيَّ فيهما كيفما نشاء، فنفعل فيهما ما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما ذكرنا فيمَن أَعْطَى وفيمَن بَخِلَ. أو: إنَّ لنا ذلك فنُثيب مَن اهتدى وأنجعَ فيه هدانا. أو: إنَّ لنا كلَّ ما في الدارين، فلا يضرُّنا تَرْكُكُم الاهتداءَ وعدمُ انتفاعكم بهدانا، أو فلا ينفعنا اهتداؤكم كما لا يضرُّنا ضلالكم، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومَنْ ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها.

---

(١) في هامش الأصل: والثلاثي منه رَدِيَ كفرح، أي: هلك.
(٢) في هامش الأصل: ويقال: رَدَى كَرَمَى، أي: سقط.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ قيل: متفرِّعٌ على كون الهدى عليه سبحانه، أي: فهَدَيْتُكم بالإنذار وبالغتُ في هدايتكم.

وتلظَّى بمعنى تلتهب، وأصله: تتلظَّى بتاءين، فحذفتْ منه إحداهما، وقد قرأ بذلك ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة وسفيان بن عُيينة وعبيد بن عمير(١).

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ المراد به الكافر، فإنه أشقى من الفاسق، ويُفصِحُ بذلك وَصْفُهُ بقوله تعالى: ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ أي: بالحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ وأعرضَ عن الطاعة.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: سيُبْعَدُ عنها ﴿الْأَتْقَى﴾ المبالغُ في اتقاء الكفر والمعاصي، فلا يحومُ حولَها.

واستُشكل بأنَّ صَلْيَ النارِ دخولُها، أو مقاساة حرِّها، وهو لازمُ دخولها على المشهور، فالحصرُ السابق يقتضي أن لا يَصْلَى المؤمنُ العاصي النارَ؛ لأنه ليس داخلاً في عموم الأشقى الموصوفِ بما ذُكِرَ، وأنَّ «سيجنَّبها الأتقى» يقتضي بمفهومه أنَّ غيرَ الأتقى ـ أعني التقي في الجملة، وهو المؤمنُ العاصي ـ لا يُجنَّبها، بل يصلاها، فبَيْنَ الحصرين مخالفةٌ.

وأجيب بأنَّ الصَّلْيَ ليس مطلقَ دخول النار، ولا مطلقَ مقاساة حَرِّها، بل هو مقاساتُه على وجه الأشدِّية(٢)، فقد نقل ابن المنير عن أئمة اللغة أنَّ الصَّلْيَ أن يحفروا حفيرة، فيجمعوا فيها جَمْراً كثيراً، ثم يَعْمَدوا إلى شاةٍ فيدسُّوها وَسْطَهُ بين أطباقه(٣). فالمعنى: لا يُعذَّبُ بين أطباقها، ولا يقاسي حَرَّها على وجه الأشدِّية إلا الأشقى، وسيُبْعَدُ عنها الأتقى، فلا يدخلها، فضلاً عن مقاساة ذلك، فيلزمُ من الأول أنَّ غيرَ الأشقى ـ وهو المؤمنُ العاصي ـ لا يُعذَّبُ من أطباقها، ولا يقاسي حَرَّها على وجه الأشدِّية، ولا يلزمُ منه أن لا يدخلها ولا يُعذَّبَ بها أصلاً، فيجوزُ أن يدخلها ويُعذَّب بها على وجهها عذاباً دون ذلك العذاب، ويلزمُ من الثاني أنَّ

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٤، والبحر ٨/ ٤٨٤.

(٢) جاء في هامش الأصل: ومن هنا اعْتَبَر فيه بعضهم اللزوم.

(٣) الانتصاف ٤/ ٢٦٢.

غيرَ الأتقى لا يُجنَّبها، ولا يلزمُ منه أنَّ غيره ـ أعني التقي في الجملة وهو المؤمن العاصي ـ يصلاها ويُعذَّبُ بين أطباقها أشدَّ العذاب، بل غايتُهُ أنه لا يُجنَّبها، فيجوز أن يدخلها ويُعذَّبَ بها على وجهها عذاباً ليس بالأشدِّ، فلا مخالفةَ بين الحصرين.

واعتبر بعضُهم في الصَّلْي الأشدِّيةَ؛ لمَا ذكر، واللزومُ هنا لمقابلته بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ كذا قيل. واستُحسن جَعْلُ السين للتأكيد؛ ليكونَ المعنى: يُجنَّبها الأتقى ولا بدَّ، فيفيدُ على القول بالمفهوم أنَّ غيرَهُ ـ وهو المؤمنُ العاصي ـ لا يُجنَّبها ولا بدَّ، على معنى أنه يجوزُ أن يُجنَّبها، ويجوزُ أن لا يُجنَّبها، بل يدخلها غيرَ صالٍ بها.

وقرَّرَ الزمخشريُّ الاستشكالَ بأنه قد عُلِم أنَّ كلَّ شقي يصلاها، وكلَّ تقي يُجنَّبها، لا يختصُّ الصَّلْي بأشقى الأشقياء، ولا التجنُّبُ والنجاةُ بأتقى الأتقياء، وظاهر الجملتين ذلك. وأجاب بما حاصله أنَّ الحصرَ حيثُ كانت الآيةُ واردةً للموازنة بين حالتي عظيمٍ من المشركين وعظيمٍ من المؤمنين ادِّعائيٌّ مبالغةً لا حقيقي، كأنَّ غيرَ هذا الأشقى غيرُ صالٍ، وغيرَ هذا الأتقى غيرُ مجنَّبٍ بالكلية[1]. واستحسنه في «الكشف» فقال: هو معنًى حَسَنٌ.

وأنت تعلم أنَّ مَبنَى ما قاله على الاعتزال وتخليدِ العصاة في النار.

وقال القاضي: إنَّ قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَنهَآ﴾ لا يدلُّ على أنه تعالى لا يُدخِلُ النارَ إلا الكافر كما يقول المرجئة، وذلك لأنه تعالى نكَّر «النار» فيها، فالمراد أنَّ ناراً من النيران لا يصلاها إلا مَنْ هذه حاله، والنارُ دركاتٌ على ما عُلِمَ من الآيات، فمن أين عُرِفَ أنَّ هذه النار لا يصلاها قومٌ آخرون[2]؟

وتعقَّبه الزمخشريُّ بأنه ما يصنعُ عليه بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾؟ فقد عُلِمَ أنَّ أفسقَ المسلمين يُجنَّبُ تلك النار المخصوصة، لا الأتقى منهم خاصةً[3].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٦٢.

(٢) جاء في هامش الأصل: ونقل في التفسير الكبير عنه كلاماً أطول من هذا وضعَّفه فارجع إليه. اهـ، وينظر التفسير الكبير ٣١/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦٢.

وأجيب بأنه لعلَّ هذا القائلَ لا يقول بمفهوم الصفة ونحوها، فلا تفيدُ الآية المذكورةُ عنده الحصرَ، ويكونُ تمييزُ هذا الأتقى عنده بمجموع التجنُّب وما سيُذْكَرُ بعدُ، ولعلَّ كلَّ مَنْ لا يقولُ بالمفهوم لا يُشكِلُ عليه الأمر إلا أمر الحصر في «لا يصلاها» إلخ، فإنه كالنصِّ في بادئ النظر فيما يدَّعيه المرجئة؛ لِحَمْلِهِمُ الصَّلْيَ فيه على مطلق الدخول، وأيَّدوه بما أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن مردويه عن أبي هريرة[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النارَ إلا مَن شَقِيَ» قيل: ومَنِ الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل لله تعالى طاعة، ولا يترك لله تعالى معصية» وهذا الخبرُ ونحوه من الأخبار مما يستندون إليه في تحقيق دعواهم، وأهلُ السنة يُؤوِّلون ما صحَّ من ذلك؛ للنصوص الدالة على تعذيب بعضٍ ممن ارتكب الكبيرة على ما بُيِّنَ في موضعه.

وقيل في الجواب: إنَّ المراد بالأشقى والأتقى الشقيُّ والتقيُّ. وشاعَ أفعلُ في مثل ذلك، ومنه قول طرفة:

تـمـنَّـى رجـالٌ أن أمـوتَ فـإن أمـت فـتـلـك سـبـيـلٌ لـسـتُ فـيـهـا بـأَوْحَـدِ[2]

فإنه أراد: بواحد.

واعتُرض بأنه لا يَحْسِمُ مادةَ الإشكال؛ إذ ذلك الشقي في الآية ليس إلا الكافرَ، فيلزمُ الحصرَ أن لا يدخلَ النارَ، أو لا يُعذَّبَ بها غيره، مع أنه خلافُ المذهب الحقّ، وأيضاً إنَّ ذلك التقي فيها قد وُصِفَ بما وُصِفَ، فعلى القول بالمفهوم يلزمُ أن لا يُجنَّبها التقيُّ الغيرُ الموصوف بذلك، كالتقيِّ الذي لا مال له، وكغير المكلَّفين من الأطفال والمجانين، مع أنَّ الحقَّ أنهم يُجنَّبونها. وقيل غير ذلك.

ولعلَّكَ بعد الاطِّلاع عليه وتدقيق النظر في جميع ما قيل، واستحضارِ ما عليه الجماعة في أهل الجمع تستحسنُ - إن قلت بالمفهوم - ما استحسنه صاحبُ

---

(١) أحمد (٨٥٩٤)، وابن ماجه (٤٢٩٨).

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٨، وليس في ديوان طرفة. ونسبه الأخفش في الاختيارين ص١٦١ لمالك بن القين. وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ص٦٨ برواية: تمنى مُرَيءُ القيس موتي وإن أمت. . . .

«الكشف» مما مرَّ عن الزمخشري، وإن لم تكن ممن يقولُ بتخليد أهل الكبائر من المؤمنين، فتأمل.

وجنَّب يتعدَّى إلى مفعولين، فالضميرُ هاهنا المفعولُ الثاني، والأتقى المفعولُ الأول، وهو النائبُ عن الفاعل، ويقال: جنبَ فلانٌ خيراً وجنبَ شرًّا، وإذا أُطلقَ فقيلَ: جنبَ فلانٌ، فمعناه على ما قال الراغب(١): أُبعِدَ عن الخير، وأصل جنبته كما قيل: جعلتُهُ على جانبٍ منه، وكثيراً ما يُرادُ منه التبعيدُ، ومنه ما هنا، ولذا قلنا: أي: سيُبْعَدُ عنها الأتقى.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ أي: يعطيه ويصرفه ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ طالباً أن يكون عند الله تعالى زاكياً نامياً، لا يريد به رياءً ولا سمعةً، أو متطهراً من الذنوب. فالجملةُ نَصْبٌ على الحال من ضمير «يؤتي».

وجُوِّزَ أن تكون بدلاً من الصلة، فلا محلَّ لها من الإعراب. وجُوِّز أيضاً أن يكون الفعل وحده بدلاً من الفعل السابق وحده.

واعتُرض كلا الوجهين بأنَّ البدلَ من قسم التابع المعرَّفِ بـ: كلّ ثانٍ أُعرب بإعراب سابقه، ولا إعرابَ للصلة حتى يثبتَ لها تابعٌ فيه، وسببُ الإعراب - وهو الرفعُ - في الفعل متوفرٌ مع قَطْعِ النظر عن التبعية، وهو على المشهور تجرُّدُهُ عن الناصب والجازم، فليس معرباً بإعراب سابقه لظهور ذلك في كون إعرابه للتبعية، وهو هنا ليس لها بل للتجرد.

وأجيب مع الإغماض عمّا في ذلك التعريف مما نبّه على بعضه الرضيُّ:

أما عن الأول: فبأنَّ المرادَ: أُعرب بإعرابِ سابقه إن كان له إعرابٌ، أو بأنَّ المرادَ: أُعرب بإعراب سابقه وجوداً وعَدَماً. وقيل: إطلاقُ التابع على ذلك ونحوه من الحرف والفعل الغير المعرب مجازٌ من حيث إنه مشابهٌ للتابع لموافقته لسابقه فيما له.

---

(١) في المفردات (جنب).

وأما عن الثاني: فبأنَّ الشيءَ قد يُقصَدُ لشيءٍ وإن كان متحقِّقاً قبل ذلك الشيء لأمرٍ آخر، كألف التثنية وواو الجمع، فإنه يُؤتَى بهما للدلالة على التثنية والجمع، فيتحقَّقان، ويأتي عاملُ الرفع على المثنَّى والمجموع، وهما فيهما قبله فيُقصَدان له.

وقال السيد عيسى[1]: المراد بقولهم: كلُّ ثان أُعرب.. إلخ: كلُّ ثانٍ أعرب لو لم يكن مُعرَباً. فتدبَّر ولا تغفل.

وجُوِّزَ أن يكون «يتزكَّى» بتقدير: لأَنْ يتزكَّى، متعلِّقاً بـ «يُؤتي» علَّة له، ثم حُذفتِ اللامُ، وحَذْفُها من «أنَّ» و«أنْ» شائعٌ، ثم حُذفتِ «أن» فارتفع الفعلُ أو بقي منصوباً، كما في قول طرفة:

ألا أيـهـذا الـزاجـري أحـضـرُ الـوغـى[2]

فقد روي برفع «أحضرُ» وبنَصْبه، وقيل: إنه بتقدير: لأن، أو: عن أن أحضرَ، فصُنِعَ فيه نحو ما سمعت.

وأيًّا ما كان يدلُّ الكلامُ على أنَّ المرادَ بإيتائه صرفُهُ في وجوه البرِّ والخير.

وقرأ الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ: «يزَّكَّى» بإدغام التاء في الزاي[3].

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩﴾ استئنافٌ مقرِّرٌ لما أفاده الكلام السابق من كون إيتائه للتزكِّي خالصاً لله تعالى، أي: ليس لأحدٍ عنده نعمةٌ من شأنها أن تُجزى وتكافأ، فيقصد بإيتاء ما يُؤتي مجازاتها. ويُعلَمُ مما ذُكِرَ أنَّ بناءَ «تُجزى» للمفعول

(١) لعله: عيسى بن محمد بن عبيد الله، أبو الخير، قطب الدين الحسني الحسيني الإيجي الشافعي الصوفي، المعروف بالصفوي نسبة إلى «صفي الدين» جدّه لأمه. له: تفسير جزء «عمّ»، وشرح الكافية لابن الحاجب، وغيرهما. (ت ٩٥٣هـ). شذرات الذهب ١٠/ ٤٢٧، والأعلام ٥/ ١٠٨.

(٢) ديوان طرفة ص ٣٢، وسلف عند تفسير الآية (٨٣) من سورة البقرة.

(٣) القراءات الشاذة ص١٧٤ وفيه: الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والكلام من البحر ٨/ ٤٨٤.

لأنَّ القَصْدَ ليس لفاعلٍ مُعيَّنٍ. وقيل: إنَّ ذلك لكونه فاصلةً، وأصله: يُجزيه إياها، أو يُجزيها إياه.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ منصوبٌ على الاستثناء المنقطعِ من «نعمة»؛ لأنَّ الابتغاءَ لا يندرجُ فيها، فالمعنى: لكنه فَعَلَ ذلك لابتغاء وجه ربِّهِ سبحانه، وطَلَبِ رضاه عزَّ وجلَّ، لا لمكافأة نعمه.

وقرأ يحيى بن وثاب: «ابتغاءُ» بالرفع[1] على البدل من محلِّ «من نعمة»، فإنه الرفع إما على الفاعلية، أو على الابتداء، و«من» مزيدةٌ، والرفع في مثل ذلك لغة تميم، وعليها قوله:

وبـلـدةٍ لـيـس بـهـا أنـيـسُ إلا الـيـعـافـيـرُ وإلا الـعِـيـسُ[2]

وروي بالرفع والنصب ـ على ما في «البحر»[3] ـ قولُ بشر بن أبي خازم:

أَضْحَتْ خَلاءً قِفاراً لا أنيسَ بها إلا الجآذر والظُّلْمان تختلفُ[4]

وجُوِّزَ أن يكون نَصْبُهُ على أنه مفعولٌ له على المعنى؛ لأنَّ معنى الكلام: لا يُؤتي ماله لأجل شيءٍ من الأشياء إلا لأجل طَلَبِ رضا ربه عزَّ وجلَّ، لا لمكافأةِ نعمةٍ. فهو استثناءٌ مفرَّغٌ من أعمِّ العِلَل والأسباب، وإنما أوِّلَ لأنَّ الكلامَ ـ أعني «يُؤتي ماله» ـ مُوجبٌ، والاستثناءُ المفرَّغُ يختصُّ بالنفي عند الجمهور، لكنه لَمَّا عقَّب بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ وقد قال سبحانه أولاً: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ متضمِّناً نفيَ الرياء والسُّمعة، دلَّ على المعنى المذكور.

وقرأ ابن أبي عبلة: «إلا ابتغا» مقصورٌ[5]، وفيه احتمالُ النَّصب والرفع.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٤، والبحر ٨/ ٤٨٤.

(٢) البيت لجران العَوْد النميري، وهو في ديوانه ص٩٧، وسلف ١٣/ ٢٦٣.

(٣) ٨/ ٤٨٤.

(٤) ديوان بشر ص١٥٨ ووقع فيه: الجوازئ، بدل: الجآذر، والجآذر: جمع جُؤذُر ـ وتفتح الذال ـ وهو ولد البقر الوحشي. والجوازئ: الوحش. والظلمان: جمع ظليم. وهو الذكر من النعام. القاموس (جذر) و(جزأ) و(ظلم).

(٥) القراءات الشاذة ص١٧٤، والبحر ٨/ ٤٨٤.

وهذه الآياتُ على ما سمعتَ نزلتْ في أبي بكر ﷺ؛ لِمَا أنه كان يعتِقُ رقاباً ضعافاً، فقال له أبوه ما قال، وأجابه هو بما أجاب، وقد أوضحتُ ما أبهمه ﷺ في قوله فيه: إنما أُريد ما أُريد[١]. وفي رواية ابن جرير وابن عساكر[٢] أنه قال: أيْ أَبَهْ، إنما أُريد ما عند الله تعالى. وفي رواية عطاء والضحاك عن ابن عباس أنه ﷺ اشترى بلالاً ـ وكان رقيقاً لأميةَ بن خلف يُعذِّبه لإسلامه ـ بِرِطْلٍ من ذهب، فأعتقه، فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا لِيَدٍ كانت له عنده، فنزلت[٣]. وهو ﷺ أحدُ الذين عُذّبوا لإسلامهم، فاشتراهم الصِّدِّيقُ وأعتقهم، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن عروةَ أنَّ أبا بكرٍ ﷺ أعتقَ سبعةً كلّهم يُعذَّبُ في الله عزَّ وجلَّ: بلالٌ، وعامرُ بن فهيرة، والنهديةُ، وابنتها، ودنيرةُ، وأم عبيس، وأمةُ بني المؤمل. وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة[٤]، واستدلَّ بذلك الإمامُ[٥] على أنه ﷺ أفضلُ الأمة، وذكر أنَّ في الآيات ما يأبى قولُ الشيعة: إنها في عليٍّ كرم الله تعالى وجهه، وأطالَ الكلام في ذلك، وأتى بما لا يخلو عن قيل وقال.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ جوابُ قَسَمٍ مُضْمَرٍ، أي: وبالله لسوف يرضى، والضميرُ فيه للأتقى المحدَّث عنه، وهو وَعْدٌ كريمٌ بنَيل جميعِ ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها؛ إذ به يتحقَّقُ الرضا.

وجوَّز الإمام كونَ الضمير للربِّ تعالى، حيث قال بعد أن فَسَّر الجملةَ على رجوعه للأتقى: وفيه عندي وجهٌ آخر، وهو أنَّ المراد أنه ما أنفق إلا لِطَلَبِ رضوان الله تعالى، ولسوف يرضى الله تعالى عنه، وهذا عندي أعظمُ من الأول؛ لأنَّ رضا الله سبحانه عن عبده أكملُ للعبد من رضاه عن ربه عزَّ وجلَّ، وبالجملة فلا بدَّ من حصول الأمرين كما قال سبحانه: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[٦] [الفجر: ٢٨] انتهى.

---

(١) لم يتكلم فيما سلف بشيء عن هذا، ينظر ص٨٣ من هذا الجزء.
(٢) ابن جرير ٢٤/ ٤٦٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٦٩.
(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٤٨٨.
(٤) عزاه له السيوطي في الدر ٦/ ٣٥٩، وفيه: زنيرة وأم عيسى، بدل: دنيرة وأم عبيس.
(٥) في تفسيره ٣١/ ٢٠٥.
(٦) التفسير الكبير ٣١/ ٢٠٧.

والظاهرُ هو الأولُ، وقد قرئ: «ولسوف يُرْضى» بالبناء للمفعول من الإرضاء[1]، وما أشار إليه في معنى «راضية مرضية» غيرُ متعيِّنٍ كما سمعتَ، وفي هذه الجملة كلامٌ يُعلَمُ مما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٨٤.